نُجُوم الْهُدَى

في

كَوْن نَبِيّنَا أَفضَلَ مَن دَعَا إِلَى اللهِ وَ هَدَى

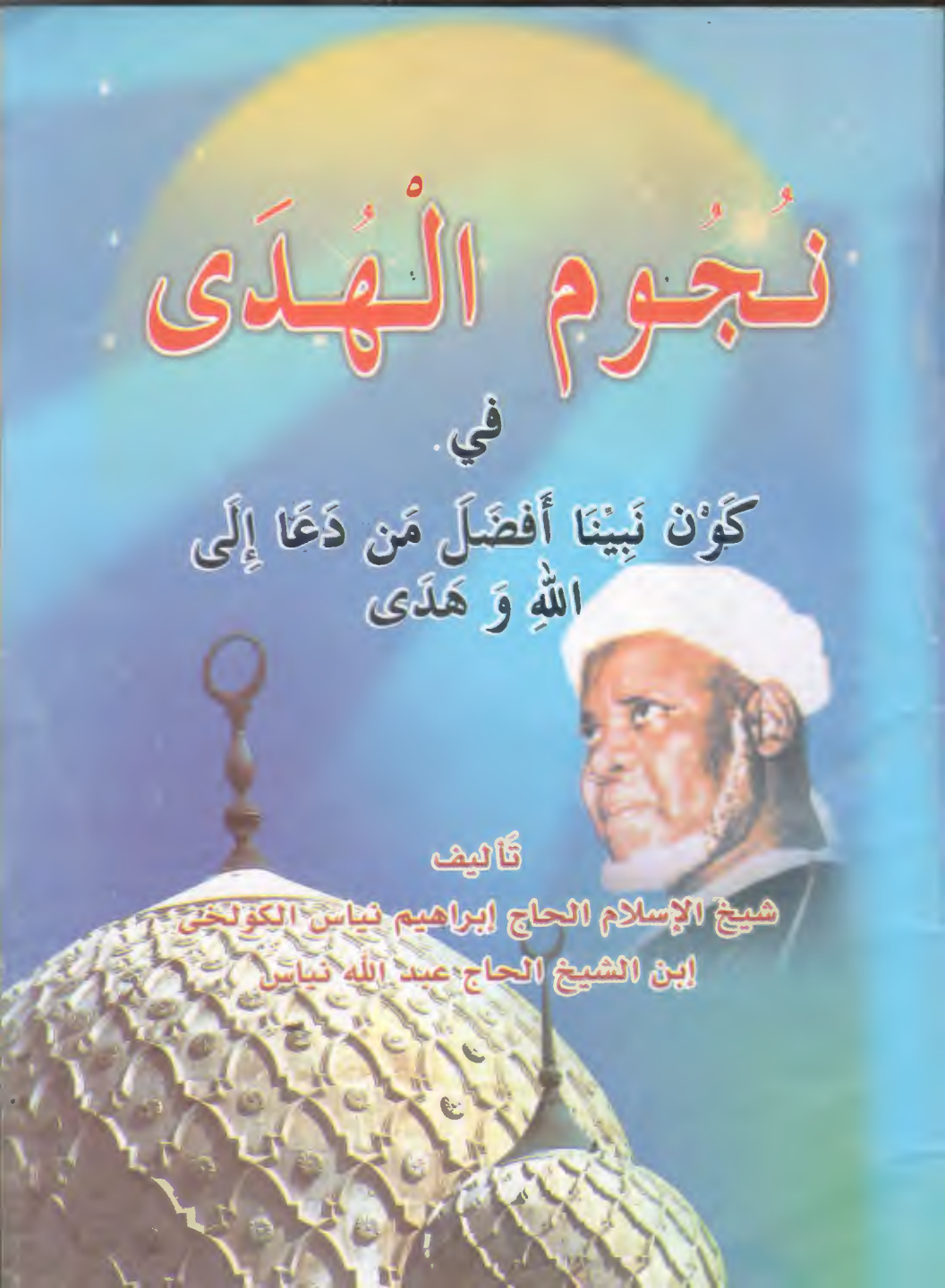

تأليف

شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس الكولخي

إبن الشيخ الحاج عبد الله نياس

نُجُـــومُ الْهُدَىٰ

في

كَوْنِ نَبِيِّنَا أَفْضَلَ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَهَدَىٰ

تأليف

شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس الكولخي

ابن الشيخ الحاج عبد اللّٰه نياس

الحمد لله وحده

وبعد وفد انت للمولد الباخل الصيب
السيد الحاج عبد الله اليسار ع طبع
"سالبيب ودواوين واسال
الله مولانا يبارك ج جميع
حركاته وسكناته والسلام
وكتب خديم الخطوة الابراهيمية
على سيسا عفا الله مولانا وسيدنا
شيخ الاسلام الحاج ابراهيم سنبعتاسه
١٤٠٠ امين

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ.

هَذِهِ رِسَالَةٌ أَلَّفَهَا الشَّيْخُ الأُسْتَاذُ الْمُحَدِّثُ الْمُجَدِّدُ الصُّوفِيُّ الْوَرِعُ التَّقِيُّ أبو إِسْحَاقَ الحاج إِبْرَاهِيمُ نَيَاسْ ابْنُ الْحَاج عَبْد اللَّه نياسْ المَالِكِيُّ الأَشْعَرِيُّ التِّجَّانِيُّ الْكَوْلَخِيُّ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ وَبَقَاءَهُ رَدًّا عَلَى مَنْ أَنكَرَ أَفْضَلِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى سَائِرِ الخَلْقِ مِنَ النَّبِيينَ والْمُرْسَلِينَ إلخ.

وَسَمَّاهَا

(نُجُومُ الْهُدَى فِي كَوْنِ نَبِيِّنَا أَفْضَلَ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَهَدَى).

❋ ❋ ❋

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَعْضَ النَّبِيينَ عَلَى بَعْضٍ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ وَجَعَلَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ - أَفْضَلَهُمْ كُلاًّ وَكُلِّيَّةً وَمَقَامَهُ فَوْقَ الْمَقَامَاتِ فَهُوَ بالنَّصِّ وَالإِجْمَاعِ أَفْضَلُ وأَكْمَلُ الْمَخْلُوقاتِ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَرَحْمَةُ الْخَلْقِ حَتَّى أَرْبَابِ النُّبُوَّاتِ وَالرِّسَالاَتِ - وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأُمَّتِهِ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ بِنَصِّ الذِّكْرِ والآياتِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي مُنذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ أَسْمَعُ مَقَالاً يُنْسَبُ لِبَعْضِ أَهْلِ المِلَّةِ الإِسْلاَمِيَّة وَجَعَلْتُهُ في عِدَادِ الْخرافاتِ وَعَزَمْتُ أَنْ لاَ أُبِلَّ قَلَمِي بِردِّ تِلْكَ التُّرَّهَاتِ حَتَّى شَاعَ وَذَاعَ وأَكْثَرُ أَهْلُ الْعَصْرِ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إلاَّ أَمَانِيَّ وَمَا زَخْرَف لَهُمْ رُؤَساؤُهُمْ من الْ يِّ والضَّلالاتِ. وَالْمَقَالِ إِنَّه ما ثُمَّ دَلِيلٌ علَى أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ أَرْبَابِ الحَقَائِقِ والْمُعْجِزَاتِ فَخِفْتُ أَنْ يَصْغِي الْعَوَامُ الْجَهَلَةُ إلى تِلْكَ الْخُزَعبلاتِ فَقَيَّدْتُ لَهُمْ جَوَاباً مُخْتَصَراً قَدَّرَ هِمَمَ أَهْلِ الْعَصْرِ ومَا اتَّصَفُوا به مِنْ قِلَّة الْمُبَالاةِ فَقُلْتُ: إِنَّ التَّفاضُلَ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ مَذْكُورٌ في الْقُرْآن الْعَزِيزِ ومُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ. وَهذا أَوْضَحُ مِنَ النَّهَارِ فَلاَ يَحْتَاجُ لِلدَّلاَلاَتِ قال:

فَكَيْفَ يَصِحُّ في الأَذْهَانِ شَيْءٌ
مَتَى احْتَاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيل

وَحَيْثُ أَنَّ الْمُخَاطَبَةَ مَعَ غَبِيٍّ من الْأَغْبِيَاءِ نَكْتُبُ مُجَارَاةً مع غَبَاوَتِهِ بِنَصْبِ الدَّلائل وَالآيات، فَنَقُولُ: نَصَّ الْقُرْآن أَنَّ مُحَمَّداً رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِين، وَصَحَّ أَنَّهُ الشَّفيعُ فيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وآدَمُ فَمَنْ دُونه تَحْتَ لوَائِهِ يَوْم القيامةِ وأَنَّهُ خَاتِمُ النَّبيين وإِمَامُهُمْ وَدِينُهُ أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ وأُمَّتُهُ أَفْضَلُ الْأُمَمِ وكِتَابُهُ أَفْضَلُ كِتَابٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّة وَلَهُ الْوَسِيلةُ، وَعَظَّمَهُ اللَّهُ بِمَا لَمْ يعظِّمْ بِهِ غَيْرَهُ، ورَفَعَ ذِكْرَهُ وَفَتَحَ لَهُ وَغَفَرَ لَهُ وأَذْهَبَ الرِّجْسَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وأَسْرَى به وأَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ وَعَصْرِهِ وَبَلَدِهِ وأَعْطَاهُ الكَوْثَر وبَقِيَتْ آيَاتُهُ مُسْتَمِرَّةً وَنَسَخَ دِينُهُ الْأَدْيَانَ وبُعِثَ إِلى كَافَّةِ الْخَلْقِ.

وإليك تفصيل بَعْضَ ما ذَكَرْنَا فأقُولُ: جَرَى في كَلامِ المُحَقِّقينَ ما يُشِيرُ إلى الْفَرْقِ بَيْنَ مَقَامِ الحَبيبِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَقَام غَيْرِهِ وإِلَيْك آياتٍ تُوضِحُ لَكَ بَعْضَ ذَلِكَ، نَبْدأُ بِالفَرْقِ بَيْنَ مَقَامِهِ وَمَقَام الخَلِيل: الخَلِيلُ مَقَامُهُ أَنْ طَمِعَ في المَغْفِرَةِ بِقَولِهِ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: 82] والحبيبُ مَقَامُهُ فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 1، 2]، والْخَلِيلُ مَقَامُهُ الطَّلَبُ قَالَ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: 87]، وأُعْطِيَ الحَبيبُ

مِنْ غَيْرِ طَلَب ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: 8]، وَالْخَلِيلُ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] وَالْحَبِيبُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4]، والْخَلِيلُ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] والْحَبِيبُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33]، وَالْخَلِيلُ قَالَ: حَسْبِيَ اللَّه، والحَبِيبُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 64]، وَالخَلِيلُ قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99]، وَالحَبِيبُ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1] إِلَى غَيْرِ ذلِكَ. وأَمَّا الْكَلِيمُ فَجَاءَ لِلْمِيقَاتِ، ومُحَمَّدٌ الْحَبِيبُ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] وَمُنَاجاةُ الْكليم عِنْدَ الطُّورِ، وَمُنَاجاةُ الحَبِيبِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَفَوْقَ الْفَوْقِ، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164] وَحْياً مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَكَلَّمَ مُحَمَّداً ﷺ مُشَافَهةً عَيَاناً، وأَجَابَ الْكَلِيمَ بـ ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: 143] وَحَكَى عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: 11] ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143]، وَالحَبِيبُ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: 17]، وَحَكى الْكَلامَ الَّذي تَكَلَّمَ بِهِ مُوسَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 17] وَكَتَمَ مُنَاجَاةَ الحَبِيبِ وأَبْهَمَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10] إلخ. قَالَ الْفَخْرُ الرّازي عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ

ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] مَا نَصُّهُ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وَعَلَى أن مُحَمَّداً ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْكُلِّ قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وُجُوهٌ أَحَدُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فَلَمَّا كَانَ رَحْمَةً لِكُلِّ الْعَالَمِينَ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَل من العَالمِينَ.

الْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4] فَقِيلَ فيهِ: قَرَنَ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِذِكْرِهِ في كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وفي الْأَذَانِ وفي التَّشَهُّدِ وَلَمْ يَكُنْ ذِكْرُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ.

الْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَرَنَ طَاعَتَهُ فَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80] وَبَيْعَتَهُ بِبَيْعَتِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] وَعِزَّتَهُ بِعِزَّتِهِ فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: 8] وَرِضَاهُ بِرِضَاهُ فَقَالَ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: 62]، وَإِجَابَتَهُ بِإِجَابَتِهِ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 24].

الْحُجَّةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ اللَّه تَعَالَى أمر مُحَمَّداً ﷺ بِأَنْ يَتَحَدَّى بِكُلِّ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ فَقَالَ: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: 23] وأَقْصَرُ السُّوَرِ سُورَةُ الْكَوثَرِ وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ وَكَأَنَّ اللَّه تَحَدَّاهُمْ بِكُلِّ ثَلَاثِ آياتٍ وَلَمَّا كَانَ كُلُّ الْقُرْآنِ سِتَّةَ آلافِ آيةٍ وَكَذَا آية لَزِمَ

أَنْ لا يَكُونَ مُعْجِزَ الْقُرْآنِ مُعْجِزاً وَاحِداً بَلْ يَكُونُ أَلْفي مُعْجِزَةٍ وَأَزْيَدَ وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: إِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ ذَكَرَ تَشْرِيفَ مُوسَى في تِسْعِ آياتٍ بَيِّنَاتٍ فَلأَنْ يَحْصُلَ التَّشْرِيفُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِهَذِهِ الآياتِ الْكَثِيرةِ كَانَ أَوْلَى.

الْحُجَّةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّ مُعْجِزَةَ رَسُولِنَا ﷺ أَفْضَلُ مِنْ مُعْجِزَاتِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُنا أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَبَيَانُ الأُولَى قَوْلُهُ ﷺ: «**الْقُرْآنُ في الْكَلام كَآدَمَ في الْمَوْجُوداتِ**» وَبَيَانُ الثَّاني أَنَّ الخَلْقَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَشْرَفَ كَان صَاحِبُهَا أَكْرَمَ عِنْدَ المِلْكِ.

الْحُجَّةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ مُعْجِزَتَهُ ﷺ هِيَ القُرْآنُ وهِيَ مِنْ جِنْسِ الْحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ وهي أَعْرَاضٌ غَيْرُ بَاقِيةٍ وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ جِنْسِ الأُمُورِ البَاقِيَةِ ثُمَّ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ مُعْجِزَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بَاقِيَةً إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ومُعْجِزَاتُ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ فَانِيةٌ مُنْقَضِيةٌ.

الْحُجَّةُ السَّابِعَةُ: أَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ما حَكَى أَحْوَالَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90] فَأَمَرَ مُحَمَّداً ﷺ بِالإِقْتِدَاءِ بِمَنْ قَبْلَهُ فإِمَّا أَنْ يُقَال أَنَّهُ كَان مَأْمُوراً بِالإِقْتِدَاءِ في أُصُولِ الدِّين وَهُوَ جَائِزٌ لأَنَّهُ تَقْلِيدٌ أَوْ في

فُرُوعِ الدِّين وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ لأَنَّ شَرْعَهُ نَسَخَ سَائِرَ الشَّرائِعِ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ يَكُون الْمُرَادُ مَحَاسِنَ الأَخْلاَق فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: «إِنَّا أَطْلَعْنَاكَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَسَيْرِهِمْ فَاخْتَرْ أَنْتَ مِنْهَا أَجْوَدَهَا» وَأَحْسَنَهَا وَكُنْ مُقْتَدِياً بِهِمْ فِي كُلِّهَا وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الخِصَالِ الْمَرْضِيَّةِ مَا كَانَ مُتَفَرِّقاً فِيهِمْ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَل مِنْهُمْ.

الْحُجَّةُ الثَّامِنَةُ: أَنَّه ﷺ بُعِثَ إِلى كَافَّةِ الْخَلْقِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ مَشَقَّتَهُ أَكْثَرَ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ، أَمَّا أَنَّهُ بُعِثَ إِلَى كُلِّ الْخَلْقِ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: 28] وَأَمَّا أَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ تكُونَ مَشَقَّتُهُ أَكثر فَلأَنَّهُ كَان إِنْسَاناً فَرْداً مِنْ غَيْرِ مَالٍ ولا أَعْوَانٍ وَأَنْصَارٍ فَإِذَا قَالَ لِجَمِيع الْعَالَمين: يَا أَيُّهَا الكافِرونَ صَار الْكُلُّ أَعْدَاءً لَهُ وَحِينئذٍ يَصِيرُ خَائِفاً من الْكُلِّ فَكَانَتِ الْمَشَقَّةُ عَظِيمَةً.

وَكَذَلِكَ فَإِنَّ مُوسَى عليه السلام لَمَّا بُعِثَ إِلى بني إِسْرَائيل فَهُوَ مَا كَانَ يَخَافُ أَحَداً إِلاَّ مِنْ فِرْعَونَ وَقَوْمِهِ، وأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَالكُلُّ كانوا أَعْدَاءً لَهُ، بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ إِنْسَاناً لَوْ قِيلَ لَهُ: هَذَا الْبَلَدُ الْخَالي عَن الصَّدِيق والرَّفِيقِ فِيهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ ذُو قُوَّةٍ وَسِلاَحٍ فَاذْهَبْ إِلَيْهِ وَحيداً وَبَلِّغْهُ خَبراً يُوحِشُهُ ويُؤذيه فَإِنَّهُ قَلَّمَا

سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ وَلَوْ قِيلَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى بَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ لَيْسَ فِيهَا أَنِيسٌ وَلاَ صَدِيقٌ وَبَلِّغْ إِلَى صَاحِبِ الْبَادِيَةِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الأَخْبَارِ الْمُوْحِشَةِ لَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الإِنْسَانِ أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ مَأْمُوراً بِأَن يَذْهَبَ طولَ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ في كُلِّ عُمْرِهِ إِلى الجِنِّ والإِنْسِ الَّذِينَ لاَ عَهْدَ لَهُ بِهِم بَلْ الْمُعْتَادُ مِنْهُم أَنَّهُم يُعَادُونَهُ وَيُؤْذُونَه وَيَسْتَخِفُّونهُ، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ لَمْ يَمُلَّ مِنْ هَذِهِ الحَالَةِ وَلَمْ يَتَكَاسَلْ بَل سَارَعَ إِليهِمْ سَامعاً مُطِيعاً فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ تَحَمَّلَ في إِظْهَار دينِ اللَّه أَعْظَمَ الْمَشَاقّ وَلِهٰذا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: 10]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ الْبَلاَءَ علَى الرَّسُول ﷺ، فإذا عَظُمَ فَضْلُ الصَّحَابةِ بسببِ تِلْكَ الشِّدَّة فَمَا ظَنُّكَ بالرَّسُولِ وإِذَا ثَبَتَ أَنَّ مشَقَّتَهُ أَعْظَم مِنْ مَشَقَّةِ غَيْرِهِ وجَبَ أَنْ يَكُونَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ فَضْل غَيْرِهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ أَحْمَدُهَا».

الْحُجَّةُ التَّاسِعَةُ: أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ.

بَيَانُ الأَوَّلِ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ الإِسْلامَ ناسِخاً لِسَائِرِ الْأَدْيَانِ وَالنَّاسِخُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

فَلمَّا كَانَ هَذَا الدِّينُ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ ثَواباً كَانَ وَاضِعُهُ أَكْثَرَ ثَواباً مِنْ وَاضِعِ سَائِرِ الْأَدْيَانِ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ محمَّدٌ ﷺ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ.

الْحُجَّةُ الْعَاشِرَةُ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ الأُمَم فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ محمَّدٌ ﷺ أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ. بَيَانُ الأَوَّل قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] وبَيَانُ الثَّاني أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِنَّمَا نَالَتْ هَذِهِ الفَضِيْلَةُ لِمُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، وَفَضِيلَةُ التَّابع تُوجِبُ فَضِيلة المَتْبوع وَأَيْضاً فإِنَّ مُحَمَّداً ﷺ أَكْثَرُ ثَواباً لأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إلى الْجِنّ والإنس فَوَجَبَ أن يَكُونَ ثَوَابُهُ أَكْثَرَ لأَنَّ لِكَثْرَةِ المُسْتَجيبينَ أثراً في عُلُوّ شَأن المتْبُوع.

الْحُجَّةُ الحَادِيَة عشرَةَ: أَنَّهُ ﷺ خَاتِمُ الرُّسُلِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَهُمْ لأَنَّ نَسْخَ الْفَاضِل بالمَفْضُولِ قَبِيحٌ في المَعْقُولِ.

الْحُجَّةُ الثَّانِيَةَ عَشَرَةَ: أَنَّ تَفْضِيلَ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ يَكُونُ لأُمُورٍ مِنْهَا: كَثْرَةُ المُعْجِزَاتِ الَّتِي هيَ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِمْ وَمُوجَبَةٌ لِتَشْرِيفِهِمْ، وقد حَصَلَ في حقِّ نَبِيِّنَا ﷺ مَا يَفْضُلُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلافٍ وَهِيَ بِالجُمْلَةِ عَلَى أَقْسَام، مِنْهَا مَا

يَتَعَلَّقُ بالْقُدْرَةِ كإشْبَاعِ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ وَإرْوَائِهِم مِنَ الْمَاءِ الْقَلِيلِ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعُلُومِ وَفَصَاحَةِ الْقُرْآنِ وَمِنْهَا اخْتِصَاصُهُ في ذَاتِهِ بِالْفَضَائِلِ نَحْوَ كَوْنِهِ أَشْرَفَ نَسَباً مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَيْضاً كانَ في غَايةِ الشَّجَاعَةِ كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ مُحَارَبةِ عَلِيٍّ ﷺ لِعَمْرُو بنُ عَبْد ودٍ: «كَيْفَ وَجَدْتَ نَفْسَكَ يَا عليُّ؟» قَالَ: وَجَدْتُهَا لَوْ كَانَ كُلُّ أَهْلِ المَدِينَةِ فِي جَانِبٍ وَأَنَا في جَانِبٍ لَقَدْرتُ عَلَيْهِمْ قَال: «تأَهَّبْ فإنَّهُ يُخْرَجُ مِنْ هَذا الْوَادي فَتَى يُقَاتِلُكَ»، الْحَدِيثَ إلخ وَمِنْهَا في خُلُقِهِ وَحِلْمِهِ وَوَفَائِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَسَخَائِهِ، وَكُتُبُ الْحَدِيثِ نَاطِقَةٌ بِتَفْصيل هَذِهِ الأَبْوَاب.

الْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ عَشَرَةَ: قَوْلُهُ ﷺ: «آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ من آدَمَ وَمِنْ كُلِّ أَوْلاَدِهِ.

وقال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم ولا فَخْرَ» وقال ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ من النَّبِيينَ حَتَّى أَدْخُلَها أنا وَلاَ يَدْخُلُهَا أَحَدٌ مِنَ الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَها أُمَّتِي».

وَرَوَى أَنَسٌ قال ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إذا بُعِثُوا وأنا خَطِيبُهُمْ إذَا وَفَدُوا وأنا مُبَشِّرُهُمْ إذَا يَئِسُوا لِوَاءُ الحَمْدِ بيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وُلْدِ آدَمَ عَلَى رَبِي وَلاَ فَخْرَ»، وَعَنْ ابْنِ

عبَّاس قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ من الصَّحَابَةِ يَتَذَاكَرُونَ فسَمِعَ رَسُول اللَّه ﷺ حديثهم فَقَال بَعْضُهُمْ: عَجَباً إِنَّ اللَّه اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَليلاً وَقَالَ آخرُ: مَاذَا بأَعْجَبَ مِنْ كَلام مُوسى كلمَه تكليماً، وقَال آخَرُ: عِيْسَى كلمةُ اللَّه وَرُوْحُهُ، وَقَالَ آخرُ: آدَمُ اصطَفَاهُ اللَّهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَقَالَ: «**قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَحُجَّتَكُمْ إِنَّ إبراهيم خليل اللَّه وهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّه وَهُوَ كَذَلِكَ وَعِيْسَى رُوْح اللَّه وهُوَ كَذَلِكَ وآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّه تعالى وهُوَ كَذَلِكَ أَلا وأنا حَبيبُ اللَّه ولاَ فَخْرَ وأَنَا حَامِلُ لِوَاء الحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأنا أَوَّل شَافِع وأَنا أوَّل مُشَفَّع ولا فَخْرَ، وأنا أوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلْقَةَ الْجَنَّة فَيُفْتَحُ لي فَأَدْخُلُها وَمَعِي فُقَرَاءُ المُؤمنينَ ولاَ فخْرَ وأنا أكرمُ الأَوَّلين والآخرين وَلاَ فَخْرَ**».

الْحُجَّةُ الرَّابِعَةُ عَشَرة: رَوَى الْبَيْهَقِيُّ في فَضَائِل الصَّحَابَة أَنَّهُ ظَهَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبْ مِن بَعِيْدٍ فَقَالَ ﷺ: «**هَذَا سَيِّدُ العَرَب**» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَب؟ فَقَالَ: «**أَنَا سيِّدُ الْعَالَمِينَ وهُوَ سيِّدُ الْعَرَبِ**» وهَذَا يَدُلُّ على أَنَّهُ أَفْضَلُ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

الْحُجَّة الْخَامِسَةُ عَشَرَة: رَوَى مُجَاهِدٌ عن ابْن عَبَّاس

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**أُعْطِيْتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي وَلاَ فَخْرَ: بُعِثْتُ إلى الْأَحْمَرِ والأَسْوَدِ وكان النَّبِيُّ قَبْلِي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ وَجُعِلَتْ لي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً وَنُصِرْتُ بالرُّعْبِ أَمَامِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأُحِلَّتْ لي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَكُنْ لِتُحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ فَادَّخَرْتُهَا لأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لمَنْ لاَ يُشْرِكُ باللَّهِ شَيْئاً**». وَجْهُ الْإِسْتِدْلاَلِ أَنَّهُ صَرِيْحٌ في أَنَّ اللَّه فَضَّلَهُ بِهَذِهِ الْفَضَائِل عَلَى غَيْرِهِ.

الْحُجَّةُ السَّادِسَةَ عَشَرَةَ: قَالَ مُحَمَّد بْنُ عِيْسَى الْحَكِيْمُ التِّرْمَذِي في تَقْرِيرِ هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ تكُونُ مَؤُونتَهُ عَلَى قَدْرِ رَعِيَّتِهِ فَالأَمِيرُ الَّذِي تكُونُ إِمَارَتُهُ عَلَى قَرْيَةٍ تكُونُ مؤُونَتُهُ بِقَدْرِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ وَمَنْ مَلِكَ الشَّرْقَ والْغَرْبَ احْتَاجَ إلى أَمْوالٍ وَذَخَائِرَ أَكْثَر مِنْ أَمْوال أميرٍ تِلْكَ الْقَرْيَةِ فَكَذَلِك كُلُّ رَسولٍ بُعِثَ إلى قَوْمِهِ في طَرَفٍ مَخْصُوصٍ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّما يُعْطَى مِنْ هَذِهِ الْكُنُوزِ الرُّوحَانِيَّة بِقَدْرِ ذَلِكَ الْمَوْضِع، وَالمُرْسَلُ إلى كُلِّ أَهْلِ الْمَشْرِق وَالمَغْرِبِ إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِم لا بُدَّ أن يُعْطى مِنَ المَعْرِفَة ما يُمكِّنُهُ أَنْ يَقُومَ بأمورِ أَهْلِ الشَّرْقِ والْغَرْبِ وَإِذا كانَ كَذَلِكَ كَانَتْ نسْبَةُ نُبُوَّتِهِ ﷺ إلى نُبُوَّةِ سَائِرِ الْأَنْبِياءِ كَنِسبَةِ كُلّ

الْمَشَارِقِ والْمَغَارِب إلى مَلِكِ بعْضِ البلادِ الْمَخْصُوصَةِ ولَمَّا كَانَ كَذَلِكَ لاَ جَرَم أُعْطِيَ مِنْ كُنُوز الحِكْمَةِ وَالْعِلْم مَا لَم يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلَهُ فَلا جَرَمَ أَنْ بَلَغَ في الْعِلْمِ إلى الْحَدِّ الَّذِي لَمْ يَبْلُغَهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، قَالَ تَعَالَى في حَقِّه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10] وَفِي الْفَصَاحَةِ إلى أَنْ قَالَ: «أوتيتُ جَوَامِعَ الْكَلِم» وَصَارَ كِتَابُهُ مُهَيْمِناً عَلَى الْكُتُبِ وَصَارَتْ أُمَّتُهُ خَيْرَ الأُمَمِ.

الْحُجَّةُ السَّابِعَةَ عَشَرَة: رَوَى مُحَمَّدُ بْن عيسى الْحَكِيمُ التِّرْمِذِي رَحِمَهُ اللَّه تَعَالى في كِتَابِ النَّوادِرِ عَنْ أبي هُرَيْرَة عَنْ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّه تعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَمُوسَى نَجِيّاً واتَّخذني حَبِيباً ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتي وَجَلالِي لأُوثِرَنَّ حَبِيبي عَلَى خَلِيلِي وَنَجِيِّي**».

الْحُجَّة الثَّامِنَةَ عَشَرَةَ: في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أبي هُرَيْرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مِثْلي وَمَثَلُ الأَنْبِياءِ مِنْ قَبْلي كَمَثَلِ رَجُل ابتَنَى بيُوتاً فأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأكمَلَهَا إلاَّ مَوضع لبنةٍ في زاويةٍ مِنْ زَوَاياهَا فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيُعْجِبهُم البنْيَانُ ويَقُولُونَ: ألا وُضِعَتْ هَاهُنا لَبنَةٌ فَيُتِمَّ بنَاؤكَ** ـ فقال ـ: **كُنْت أنا تِلْكَ اللَّبِنَة**».

الْحُجَّةُ التَّاسِعَة عَشَرة: أَنَّ اللَّه تَعَالَى كُلَّمَا نَادَى نَبِيًّا في

الْقُرْآن نَادَاهُ بِاسْمِهِ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ ونَادَيْناهُ أَنْ يَا إِبْراهيمُ، يَا مُوسى إِنِّي أنا رَبُّكَ، وأَمَّا النَّبيُّ ﷺ فَإِنَّهُ نَادَاهُ بِقَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا النَّبيُّ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ وَذَلِكَ يُفِيدُ التَّفْضيلَ. وَاحْتَجَّ الْمُخَالِفُ بِوُجُوهٍ: **الْأَوَّلُ**: أَنَّ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ فَإِنَّ آدَمَ عليه السلام سَجَدَتْ لَهُ الْمَلائِكَةُ وَمَا كَانَ مُحَمَّدٍ كَذَلِكَ وإِنَّ إِبْراهِيم عليه السلام أُلْقِيَ في النِّيران الْعَظِيمَةِ وَمُحَمَّدٌ مَا كَانَ لَهُ مِثْلُهَا وَدَاوُدُ لاَنَ لَهُ الْحَدِيدُ وَسُلَيْمَانُ سُخِّرَتْ لَهُ الْجنُّ والإِنْس والطَّيْرُ والْوَحْشُ والرِّياحُ وَمَا كَان ذَلِكَ حَاصِلاً لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعِيسَى أَنْطَقَهُ اللَّه فِي الطُفُولِيَّةِ وَأَقْدَرَهُ عَلَى إِحْيَاء المَوْتَى وإِبْرَاءِ الأَكمَهِ وَالأَبْرَصِ وَمَا كَانَ ذَلِكَ حَاصِلاً لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

الثَّاني: أَنَّهُ تَعَالَى سَمَّى إِبْرَاهِيمَ في كِتَابِهِ خَلِيلاً. فَقَالَ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125] وَقَالَ في مُوسَى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164] وَقَالَ في عِيْسَى عليه السلام: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: 12]، وَشَيءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَقُلْهُ في حَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. **الثَّالِثُ**: قَوْلُهُ ﷺ: «**لاَ تفضِّلُوني عَلَى يُونُسَ بن مَتَّى**» وقال ﷺ: «**لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِياءِ**». **الرَّابِعُ**: رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس قَالَ: كُنَّا في المَسْجِدِ نَتَذَاكَرُ فَضْلَ الْأَنْبِيَاءِ فَذَكَرْنَا نُوحاً بِطُولِ عِبَادَتِهِ وَإِبْراهِيمَ بِخُلَّتِهِ ومُوسَى بِتَكليم اللَّه

تعالى إيَّاهُ وعيسَى بِرَفعه إلى السَّماء وَقُلْنَا: رَسُولُ اللَّه أَفْضَلُ مِنْهُمْ لأَنَّهُ بُعِثَ إلى النَّاس كَافَّةً وغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَهُوَ خَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّه فَقَالَ: «فِيمَ أَنْتُمْ؟» فَذَكَرْنَا لَهُ فَقَالَ: «**لاَ ينبغي لأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ خَيْراً مِنْ يَحْيى ابْن زَكَرياء وَذَلِكَ أَنَّه لَمْ يَعْمَلْ سَيِّئَةً قَطُّ ولَمْ يَهُمَّ بِهَا**». وَالجَوَابُ أَنَّ كَوْنَ آدَمَ عليه السلام سَجَدَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ لاَ يُوجِبُ أَنْ يكُونَ أَفْضَل مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ بدَليل قَوْلِهِ ﷺ: «**آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لوَائي يَوْمَ الْقِيَامةِ كُنْتُ نَبيًّا وآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ والطِّين**» وَنُقِلَ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَخَذَ برِكَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلَةَ المِعْرَاج وهَذا أَعْظَمُ مِنَ السُّجُودِ وَأيضاً أَنَّه تَعَالَى صَلَّى بِنَفْسِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَة وَالمُؤمنينَ بِالصَّلاةِ عليه وذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ سُجُودِ الْمَلاَئكَة وَيَدلُّ عَلَيْه وُجُوهٌ **الأَوَّلُ**: أَنَّه تَعَالَى أَمَر الْمَلائكة بالسُّجودِ لآدَمَ تَأْدِيباً وَأَمَرَهُمْ بالصَّلاةِ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ تقريباً. **وَالثَّاني**: أَنَّ الصَّلاَةَ علَى مُحَمَّدٍ دَائمةٌ إلى يَوْم الْقِيَامةِ وَأَمَّا سُجُودُ الْمَلائِكَةِ لآدَمَ عليه السلام فَمَا كَانَ إلاَّ مَرَّةً وَاحِدَةً. **والثَّالِثُ**: أَنَّ السُّجُودَ لآدَمَ إِنَّمَا تَوَلاَّهُ الْمَلائكَةُ وَأَمَّا الصَّلاَة على مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّمَا تَوَلاَّهَا رَبُّ الْعَالمينَ ثُمَّ أَمرَ بِهَا الْمَلائِكَةَ والمُؤمِنينَ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْمَلائِكَة أُمِروا بالسُّجُودِ لآدَمَ لأَجْل أَنَّ نُورَ

مُحَمَّدٍ ﷺ في جَبْهَةِ آدَمَ فَإِنْ قِيلَ: أَنَّهُ تَعَالَى خَصَّ آدَمَ بِالْعِلْمِ فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] وأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ فِي حَقِّهِ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: 52]، وَقَالَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: 7]، وَأَيْضاً فَمُعَلِّمُ آدَمَ عليه السلام هُوَ اللَّه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] ومُعَلِّمُ مُحَمَّدٍ ﷺ جِبْرِيلُ عليه السلام لِقَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: 5]، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي عِلْمِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113] وقَالَ ﷺ: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: 1، 2] وكَانَ ﷺ يَقُولُ: «أَرِنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ» وقَالَ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: 114]. وأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: 5]، فَذَلِكَ بِحَسَبِ التَّلْقِينِ وأَمَّا التَّعْلِيمُ فَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: 11] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42] فَإِنْ قِيلَ: قَالَ نوحٌ عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 114] وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: 52]. وهَذَا يَدُلُّ على أَنَّ خُلُقَ نوحٍ أَحسَنُ قُلْنَا: إِنَّهُ تَعَالَى

قَـــالَ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: 1]، فَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ الْعَذَابَ، وأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقِيلَ فِيهِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: 128]، فَكَانَ عَاقِبَةُ نُوحٍ أَنْ قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26]، وَعَاقِبَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ الشَّفَاعَةَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79]، وَأَمَّا سَائِرُ الْمُعْجِزَاتِ فَقَدْ ذُكِرَ في كتاب دَلَائِل النُّبُوَّةِ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُعْجِزَةٌ أَفْضَلُ مِنْهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَهَذا الْكِتَابُ لا يَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ واللَّه أعلم.

وَقَال الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بنيسَ في كِتَابِهِ لَوَامِعِ أَنْوَارِ الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ في شَرْحِ الهَمْزِيَّة لِلإمام الْبُوصيريُّ قَدْ دَلَّتِ الآيَاتُ وَالأَخْبَارُ وأقاويلُ الْعُلَمَاءِ وَالآثَارُ عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ أَفْضَلُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ وأَنَّ المَوْجُوداتِ وإن تفاوتَتْ في الدَّرَجَاتِ فَهُوَ في أَعلى الدَّرَجَاتِ الَّتي لاَ دَرَجَةَ فَوْقَهَا. قَالَ المُحَقِّقُون فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ من الأَنْبِيَاءِ عَلَى حِدَتِهِ وأَفْضَلُ مِنْ مَجْمُوعِهِمْ وأَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِهِم، والْفَرْقُ بَيْنَ الْكُلِّيّة وَالْكُلّ الْمَجْمُوعِيّ وَالكُلّ الجمِيْعِيّ أَنَّ الْكُلِّيَّة يَسْتَبِدُّ فِيْهَا كُلُّ فَرْدٍ بِالحُكْمِ بِخِلَافِ الآخَرِينَ، وَالكُلُّ الجَمِيعِيُّ لاَ يَخْرُجُ

عَنْهُ فَرْدٌ بخلافِ الْمَجْمُوعيّ وهُوَ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلائِكَةِ.
قَال الشَّيْخُ السَّنُوسِي: ثُبُوتُ شَرَفِهِ وَأَفْضَلِيَّته عَلَى جَمِيع الْمَخْلُوقات يَكَادُ أَنْ يكُونَ مَعْلُوماً بالضَّرُورَةِ بِحَيْثُ لاَ يحْتَاجُ إلى سَرْدِ دَلِيلٍ.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ
إذا احْتَاجَ النَّهَارُ إلَى دَلِيلِ

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وُلد آدمَ وَلاَ فَخْرَ» فَالإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ ﷺ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ وَمَذْهَبُ أَكْثَرِ أَهْلِ السُّنَّة نَّ الأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فَيَكُونُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلا بالسُّنَّة إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَفْضَلَ إِذْ هُوَ أَفْضَل مِنَ الأَفْضَلِ مِنْهُمْ عَلَى الْقَوْلِ الآخرِ فَهُوَ ﷺ خَارِجٌ مِنَ الخِلافِ ومَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ:

نَبِيُّنَا أَفْضَلُ بِالإِطْبَاقِ
مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى الإِطْلاقِ

قَالَ: هَذَا حَاصِلُ مَا ذَكَرُوهُ هُنَا وَرَأَيْتُ في تَفْسِيرِ النَّسَفِيّ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 172] مَا نصُّهُ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ خَوَاصَّ الْبَشَر وَهُمُ الأَنْبِيَاءُ عَلَيهِمُ السَّلامُ أَفْضَلُ مِنْ خَوَاصّ الْمَلاَئِكَة وَهُمْ جبْرِيلُ وَمِيكَائِيل وَعَزْرَائِيلُ وَخَوَاصُّ الْمَلاَئِكَة أَفْضَلُ مِنْ عَوَامّ

الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَشَرِ وَعَوَامُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْمَلاَئِكَةِ وَدَلِيلُنَا عَلَى تَفْضِيلِ الْبَشَرِ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ ابْتِدَاءً أَنَّهُم قَهَرُوا أَنْوَاعَ الْهَوَى فِي ذَاتِ اللَّه تَعَالَى مَعَ أَنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَيْهَا فَضَاهَتِ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ الْمَلاَئِكَة فِي الْعِصْمَةِ وَتَفَضَّلُوا عَلَيْهَا فِي قَهْرِ الْبَوَاعِثِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالدَّوَاعِي الْجِسْمَانِيَّةِ فَكَانَتْ طَاعَتُهُمْ أَشَقَّ لِكَوْنِهَا مع الصَّوَارِفِ بِخِلاَفِ طَاعَةِ الْمَلاَئِكَة لأَنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَيْهَا وَيَعْنِي بِعَوَامِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ الطَّاعَةِ وَالْمُوَافَقَةِ مِنْهُمْ وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَعْنَى:

لَيْسَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي فَرِيسَتَهُ
يَوْمَ الزِّحَامِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ
لَكِنَّ مَنْ غَضَّ طَرْفاً أَوْ ثَنَى قَدَماً
عَنِ الْمَحَارِمِ ذَاكَ الْفَارِسُ الْبَطَلُ

وَهَذَا مَعْنَى حَدِيث: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ**» وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ الْمَزِيَّة لاَ تَقْتَضِي التَّفْضِيلَ فَلا يُنَافِي مَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَفْضَلِيَّةِ مَا ثَبَتَ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ قَالَ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ فَلَطَمَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: «**لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى مُوسَى**» قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ

نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68] فَإِذَا أنا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلا أَدْرِي أَرْفَعَ رأْسَهُ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّن اسْتَثْنَى اللَّهُ لأَنَّ هَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ وَهِيَ لاَ تَقْتَضِي الأَفْضَلِيَّةِ بِدَلِيلِ الْمَلائِكَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: «لاَ تُفَضِّلُوني» إلخ أَيْ: تَفْضِيلاً يُؤَدِّي إلى المُنَازَعَةِ وَالمُخَاصَمَةِ وَهَضْمِ الْمَفْضُولِ وَلِذَا عَقَّبَهُ بِذِكْرِ مَزِيَّتِه أَوْ قَالَ ذَلِكَ تَوَاضُعاً أَوْ قَبْلَ إِعْلاَمِهِ بِالأَفْضَلِيَّةِ وَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهَا فِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَرَّبَ اللَّهُ مُوسَى إلى طُوْرِ سيناءَ نَجِيًّا قَالَ: أَي رَبِّ هَلْ أَحَدٌ أكْرَمُ عَلَيْكَ مِنِّي فَقَرَّبْتَني نجيّاً وَكَلَّمْتَنِي تَكْلِيماً؟ قَالَ: نَعَمْ مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ عليَّ مِنْكَ قَالَ: فإنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أكْرَمَ عَلَيْكَ مِنِّي فَهَلْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ أكْرَم عَلَيْكَ مِنْ بَنِي إسْرَائِيل؟ فَلَقْتَ لَهُمُ الْبَحْرَ وَأَنْجَيْتَهُم مِنْ فِرْعَونَ ومَلأَهُ وَأَطْعَمْتُهُمُ الْمَنَّ والسَّلْوى قَالَ: نَعَمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ أكْرَمُ عَلَيَّ مِنْ بَنِي إسْرَائِيْلَ قَالَ: إِلَهِي أرنيهِمْ قَالَ: إنَّكَ لَنْ تَرَاهُمْ وَإِنْ شِئْتَ أسْمَعْتُكَ صَوْتَهُمْ، قَالَ: نَعَمْ إلهي فنَادَى: يَا أمَّة مُحَمَّدٍ أَجيبُوا رَبَّكُمْ فأَجَابُوا وَهُمْ في أصْلاَب آبائِهِمْ وأَرْحَامِ أمَّهَاتِهِمْ إلى يوم القِيَامةِ، فَقَالُوا: لَبَّيْكَ أَنْتَ رَبُّنَا حَقًّا وَنحْنُ عَبِيدكَ حقًّا، قال: صَدَقْتُم أنا رَبُّكُمْ وأَنْتُم عَبِيدِي حَقًّا، قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ وأَعْطَيْتُكُمْ

قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوني مَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ بشَهَادَةِ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله دَخَلَ الْجَنَّة». قَالَ ابْنُ عَبَّاس: فَلَمَّا بَعَثَ اللَّه مُحَمَّداً ﷺ أَرَادَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِمَا أَعْطَاهُ وَأُمَّتهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: 46] اهـ. وَفِي صَحِيح الْبُخَارِي مَا نَصُّهُ: أَسْمَاءُ النَّبِيِّ وَقَوْلُهُ عَزَّ وجلَّ: مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللَّه وَقَوْلُهُ: مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ قَالَ فِي فَتْحِ البَارِي قَالَ عِيَاضٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَحْمَدَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّداً كَمَا وَقَعَ فِي الْوُجُودِ، لأَنَّ تَسْمِيَتَهُ أَحْمَدَ وَقَعَتْ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ وَتَسْمِيَتَهُ مُحَمَّداً وَقَعَتْ فِي الْقُرآنِ الْعَظِيم، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَمِدَ رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ وَكَذَلِكَ فِي الآخِرَةِ يَحْمَدُ ربَّهُ فَيُشَفِّعُهُ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ وَقد خُصَّ بسُورَةِ الْحَمْدِ وَبِلوَاءِ الْحَمْدِ وَبالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَشُرِعَ لَهُ الْحَمْدُ بَعْدَ الأَكلِ وَبَعْدَ الشُّرْبِ وَبَعْدَ الدُّعَاءِ، وَبَعْدَ الْقُدُوم من السَّفَر وَسُمِّيتْ أُمَّتُهُ الْحَمَّادِين فَجَمَعَتْ مَعَانِي الْحَمْدِ وَأَنْوَاعَهُ، وَخَرَّجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أبي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلي كَمثلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به ويَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِه اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» قَالَ فِي الْفَتْحِ وفي حَدِيثٍ: «ضَرْبِ الأَمْثَالِ للتَّقْرِيبِ لِلأَفْهَامِ»،

وَفُضِّلَ النبيُّ ﷺ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَأَنَّ اللَّه خَتَمَ بِهِ المُرْسَلِينَ وأَكْمَلَ بِهِ الشَّرائِعَ اهـ. وَنَقَلَ صَاحِبُ الْبَهْجَةِ وَرَوَينَا فِي صَحِيحِ البُخَارِي عَنْ أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً حتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فيهِ**»، وَرَوَيْنَا فِي جَامِعِ أبي عيسَى التِّرْمِذِي عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رسُول ﷺ: «**إِنَّ اللَّه اصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ واصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ واصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِي، وَعَنْ ابن عُمَرَ ﷺ أَنَّه ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْعَرَبُ ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشاً فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ فَلَمْ أَزَل خِيَاراً مِنْ خِيَارٍ أَلاَ مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ**» رَوَاه الطَّبرانيُّ. قَالَ الْقَاضِي عَيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّه تعَالَى: وأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَئِهِ فَممَّا لاَ يَحْتَاجُ إِلى إِقَامَة دَلِيلٍ وَلاَ بَيَانٍ مُشْكِلٍ وَلا خَفِي مِنْهُ فإِنَّهُ نُخْبَةُ بني هَاشِمٍ وأَفْضَلُ سُلاَلَةِ قُرَيْشٍ وَصَمِيمُهَا وأَشْرَفُ الْعَرَب وأَعَزُّهُمْ نفراً مِنْ قِبَل أَبيه وأُمِّهِ وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَكْرَمَ بِلادِ اللَّهِ على اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ رُوِيَ بِسَنَدِهِ إِلى ابْنِ

عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وتَعَالَى قَسَمَ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قِسْماً فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 27] ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: 41] فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ ثَلاثاً فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا ثُلُثاً فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: 8-10] فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ وأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ ثُمَّ جَعَلَ ثَلاث قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا قَبِيلَةً وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13] فَأَنَا أَتْقَى وُلْدِ آدَمَ وَأَكْرَمِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلاَ فَخْرَ وَجَعَلَ الْقَبَائِلَ بُيُوتاً فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا بَيْتاً، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» [الأحزاب: 33]، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: وَلاَ فَخْرَ أَيْ: لَسْتُ أَقُولُهُ مُفْتَخِراً مُتَطَاوِلاً ولا مُحْتَقِراً لِغَيْرِي إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ التَّحَدُّثِ بِالنِّعَمِ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]. وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَ رَجُلاً أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَلَمْ أَرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ مَدَحَ

قُرَيْشاً وَخَيْرَهَا ثُمَّ خيراً مِنْهُمْ بني عَبْدِ مَنَافٍ ثُمَّ خَيْراً مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ ثمَّ خَيْراً مُحَمَّداً عَلَى الْكُلِّ، فقال:

وَإِنْ فَخَرْتَ يَوْماً فَإِنَّ مُحَمَّداً
هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَصَمِيمِهَا

وقَالَ أيضاً:

فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أُرُومَةٍ
تَقَصَّرَ عَنْهَا سُورَةُ الْمُتَطَاوِلِ

وقَالَ ابْنُهُ طَالِبُ بْنُ أبي طَالِبٍ:

فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِي قُرَيْشٍ عَظِيمَةً
سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِىءَ الثَّرَى

فصل

وَأَمَّا مَا عَهِدَ اللَّهُ لَهُ فِي قَدَمِ نُبُوَّتِهِ وَذِكْرِهِ، فَرَوَى الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّه مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ «الشِّفَاءِ» أَخْبَاراً كَثِيرَةً وكَثِيراً مَا أَنْقُلُ مِنْهُ إلاَّ مَا كَانَ مِنْ فَنِّ التَّوارِيخِ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِشَيءٍ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: 81].

وَفِي مَعْنَاهَا مَا رُوِيَ عَنْ علي بْن أبي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: لَمْ يَبْعَثْ اللَّه نبيًّا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلَّا وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ

ﷺ لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ وَيَأْخُذُ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ، وَنَحْوُهُ عَنِ السُّدِّيِّ وَقَتَادَةَ وعَنْ قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ**»، فَلِذَلِكَ ذُكِرَ فِي الآيَةِ مُقَدَّماً عَلَى نُوحٍ وَغَيْرِهِ. وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي عَبْدُ اللَّه وخَاتِمُ النَّبِيِينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينِهِ وأَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وبِشَارَةُ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وكَانَ آدَمُ فِي الْأَزَلِ يُكَنَّى بِأَبِي مُحَمَّدٍ وأَبِي الْبَشَرِ**» وَرُوِيَ أَنَّهُ تَشَفَّعَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ أَصَابَتْهُ الْخَطِيئَةُ فَتَابَ اللَّه عَلَيْهِ. وَعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: «**وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ**» وَرُوِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ فِي كَلَامٍ بَكَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّه أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: 7] بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ ﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: 66]. وَروى الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْحَرَانِيُّ الْمَغْرَبِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ

ﷺ وَتَفْسِيرِهَا أَنَّهُ ﷺ نَسَبَ نَفْسَهُ فَقَالَ: «أَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا مُحَمَّد بْنُ عَبْدِ اللَّه بْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ثُمَّ رَفَعَ نَسَبَهُ إلى آدَمَ ثُمَّ قَالَ: «وَآدَمُ مِنْ تُراب والتُّرابُ مِنَ الزَّبَدِ والزَّبدُ مِنَ الْمَوْجِ وَالْمَوْجُ مِنَ المَاءِ وَالمَاءُ مِنَ الدُّرَّةِ والدُّرَّةُ مِنَ الضُّبَابَةِ والضُّبَابَةُ أُنْشِأَتْ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ»، فَإِنْ صَحَّ هَذَا مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ فَهُوَ ﷺ أَصْلُ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِي خَلْقاً وَتَكْوِيناً وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ السَّيِّدِ الْحَكِيمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ التِّرْمِذِيِّ فِيهِ ﷺ:

قَدْ وَرَثَ الْمَجْدَ بِآبَائِهِ
وَوَرَّثَ الْمَجْدَ لِأَبْنَائِهِ
وَقَامَ قُطْباً لِمُحِيطِ الْعُلَا
وَالْمَجْدِ قَدْ جَفَّ بِأَرْجَائِهِ
وَطُهِّرَتْ أَجْزَاؤُهُ فَاغْتَدَا
يُطَهِّرُ الْكُلَّ بِأَجْزَائِهِ
وَكَانَ ظِلًّا فَمَحَاهُ السَّنَا
وَمُنْبَتاً فَانٍ بِأَفْنَائِهِ
وَكَانَ فِي غَيْبَةِ أَكْوَانِهِ
يَقْطُرُ مَاءُ الْمَجْدِ مِنْ مَائِهِ

وعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّه آدَمَ أَهْبَطَنِي اللَّه إلى الأَرْضِ فِي صُلْبِه وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ

في السَّفِينَةِ وَقُذِفْتُ في النَّار في صُلْبِ إبْراهيم ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الأَصْلاَبِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَبَوَيَّ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ»

وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ ﷺ حَيْثُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَمْدَحَكَ قَالَ: «قُلْ لاَ يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ» فَقَالَ:

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلاَلِ وَفِي
مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ

ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلاَدَ لاَ بَشَرٌ
أَنْتَ وَلاَ مُضْغَةٌ وَلاَ عَلَقُ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ
أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ

وَرَدَّتْ نَارُ الْخَلِيلِ مُكْتَتِمًا
تَجُولُ فِيهَا وَلَسْتَ تَحْتَرِقُ

تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ
إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

حَتَّى احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ
خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

وأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأَرْ
ضُ وَضَاءَتْ مِنْ نُورِكَ الأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذَاكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّـ
ـورِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ
عَرَجْتَ سَبْعَ الطِّبَاقِ مُنْتَهِياً
وَسِرْتَ تَحْتَ الْجَلَالِ تَعْتَبِقُ
صَلَّى عَلَيْكَ الإِلَهُ دَائِمَةً
عَدِيدَ خَلْقٍ وَكُلَّمَا نَطَقُوا

قَالَ الشَّارِحُ: فَإِنْ صَحَّ هَذَا مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ يُؤَيِّدُ صِحَّتَه مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَخْبِرْنِي بِأَوَّلِ شَيءٍ خَلَقَهُ اللَّه قَبْلَ الأَشْيَاءِ قَالَ: «يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّه خَلَقَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورُ يَدُورُ حَيْثُ يَشاءُ اللَّه تَعَالَى بِالقُدْرَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَوْحٌ ولا قَلَمٌ ولاَ جَنَّةٌ ولا نَارٌ ولاَ مَلَكٌ ولا سَمَاءٌ ولا أَرْضٌ ولاَ شَمْسٌ ولاَ قَمَرٌ ولاَ جنِّيٌّ ولا إِنْسِيٌّ فَلَمَّا أَرادَ اللَّه تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الجُزْءِ الأَوَّلِ الْقَلَمَ ومِنَ الثَّانِي اللَّوْحَ ومِنَ الثَّالِثِ الْعَرْشَ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ من الْجزءِ الأَوَّلِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ومِنَ الثَّانِي الْكُرْسِيَّ وَمِنَ الثَّالِث

بَاقِي الْمَلاَئِكَةِ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الثَّانِي الْأَرْضِينَ وَمِنَ الثَّالِثِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ثُمَّ قَسَمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ نُورَ أَبْصَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنَ الثَّانِي نُورَ قُلُوبِهِمْ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ وَمِنَ الثَّالِثِ نُورُ إِنْسِهِمْ وَهُوَ التَّوْحِيدُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» الْحَدِيثَ وَفِيهِ طُولٌ وَمِنْهُ يُؤْخَذُ أَنَّهُ ﷺ أَصْلُ سَائِرِ الْمُكَوَّنَاتِ اهـ. وَفِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِلْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ بِسَنَدِهِ فِي قِصَّةِ إِسْلاَمِ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ أَنَّهُ أَنْشَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ:

فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ
وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ
وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً
إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لاَ ذُو شَفَاعَةٍ
سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِرْ فِي قَوْمِكَ وَقُلْ هَذَا الشِّعْرَ فِيهِمْ» اهـ. وَهَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ الشَّارِعِ ﷺ وَهُوَ لاَ يَسْكُتُ عَنْ

بَاطِلٍ وَلاَ يُقِرُّ عَلَيْهِ فافْهَمْ وَفِيهِ عِنْدَمَا أورَدَ آيَاتِ قِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 156، 157]. قَالَ: وَهَذَا فِيهِ تَنْوِيهٌ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ مِنَ اللَّهِ لِمُوسَى عليه السلام فِي جُمْلَةِ مَا نَاجَاهُ وَأَعْلَمَهُ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذِهِ الآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا فِي التَّفْسِيرِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَمُقْنِعٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَقَالَ قَتَادَةُ: قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الآخِرُونَ فِي الْخَلْقِ السَّابِقُونَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَؤُونَهَا وَكَانَ مَنْ قَبْلَهُمْ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ نَظَراً حَتَّى إِذَا رَفَعُوهَا لَمْ يَحْفَظُوا شَيْئاً وَلَمْ يَعْرِفُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكُمْ أَيَّتُهَا الأُمَّةُ مِنَ الْحِفْظِ شَيْئاً لَمْ يُعْطِهِ أَحَداً مِنَ الأُمَمِ قَالَ: رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الأَوَّلِ: وَبِالْكِتَابِ الآخِرِ وَيُقَاتِلُونَ فُصُولَ الضَّلاَلَةِ حَتَّى يُقَاتِلُوا الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ:

تلك أُمَّة أَحْمَدَ، قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً صَدَقَاتُهُمْ يَأْكُلُونَهَا فِي بُطُونِهِم وَيُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا وَكَانَ مَنْ قَبْلَهُمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَقُبِلَتْ بَعَثَ اللَّه عَلَيْهَا نَاراً فَأَكَلَتْهَا وإِنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ تُرِكَتْ فَتَأْكُلُهَا السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ وَإِنَّ اللَّه أَخَذَ صَدَقَاتِكُمْ مِنْ غَنِيِّكُمْ لِفَقِيرِكُمْ قَالَ: رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّة أَحْمَدَ، قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ: رَبِّ اجْعَلْهُم أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّة أَحْمَدَ، قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمْ المُشْفِعُون المَشْفُوعُ لَهُمْ فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ قَتَادَة: فَذَكَرَ لَنَا أَنَّ مُوسَى عليه السلام نَبَذَ الأَلْوَاحَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَد اهـ ويَكْفِي تَصْرِيحاً بِشُفُوف مَرْتَبَتِهِ عَلَى سَائِرِ مَرَاتِب الأَنْبِيَاء وَفَضلِهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، مَا أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«عُرِضتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ والنَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشرُ والنبيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ والنَّبِيَّ يمُرُّ وَحْدَهُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ هَؤُلاَء أُمَّتِي؟ قَالَ: لا ولَكِنْ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قَالَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ وَهَؤُلاَء سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِم وَلاَ عَذَابَ قُلْتُ:**

وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لاَ يَكْتَوُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ منهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرَ قَالَ: ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ» وقَالَ الحَافِظُ فِي الفَتْحِ بَعْدَ كَلاَمٍ وَقَدْ وَقَعَ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى أَنَّ مَعَ السَّبْعِينَ أَلْفاً زِيَادَةً عَلَيْهِمْ فَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَحْمَد الْبَيْهَقِي وأَحْمَدُ فِي البَعْثِ مِنْ رِوَايَةِ سُهَيْلِ بن أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي فَوَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّة مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفاً لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ» إلخ فَذَكَرَ الحَدِيثَ نَحْوَ سِيَاقِ حَدِيثِ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ثَانِي أَحَادِيثِ البَابِ وَزَادَ: «فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفاً» وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي أَيُوبَ عِنْدَ الطَّبَرَانِي وَعَنْ حُذَيْفَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَعَنْ أَنَسٍ عِنْدَ البَزَّارِ وَعَنْ ثَوْبَانَ عِنْدَ أَبِي عَاصِمٍ فَهَذِهِ طُرُقٌ يَقْوِي بَعْضُهَا بَعْضاً وَجَاءَ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَأَخْرَجَ التِّرْمِذِي وَحَسَّنَهُ وَالطَّبَرَانِي وَابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَفَعَهُ: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةِ منْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفاً لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ

عَذَابَ وثَلاَثَ حَثيَاتٍ رَبِّي» وَفِي صَحِيحِ ابنِ حَبَّان أَيْضاً وَالطَّبَرَانِي بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِنْ حَدِيثِ عُتْبَةَ بنِ عَبْدٍ نَحْوُهُ بِلَفْظِ ثمَّ يَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً ثُمَّ يَحْثِي رَبُّنَا ثَلاَثَ حَثِيَاتٍ بِكَفَّيْهِ وفِيهِ فَكَبَّرَ عُمَرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ السَّبْعِين أَلْفاً يُشْفِعُهُم اللَّه في آبَائِهِم وَأُمَّهاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ وإِنِّي أَرْجُو أَنْ يكُونَ أَدْنَى أُمَّتِي الحَثِيَاتِ»** وأَخْرَجَهُ الْحَافِظُ الضِيَاءُ وَقَالَ: لاَ أَعْلَمَ لَهُ عِلَّةً قَالَ: عِلَّتُهُ الإِخْتِلاَفُ فِي سنَدِهِ فَإِنَّ الطَّبَرَاني أَخْرَجَهُ مِنْ رِوَايَة ابنِ سَالِمٍ حَدَّثَنِي عَامِرُ بنُ زَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيق أَبِي سَالِمٍ أَيْضاً فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّه بْنُ عَامِرٍ أَنَّ قَيْسَ بنَ الحَارِثِ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ حَدَّثَهُ فَذَكَرَهُ وَزَادَ: قَالَ قَيْسٌ: فَقُلْتُ لأَبِي سَعِيدٍ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وقَالَ رسول اللَّه ﷺ: **«وَذَلِكَ يَسْتَوْعِبُ مُهَاجِرَ أُمَّتِي ويُوَفِّي اللَّه بَقِيَّتَهُمْ مِنْ أَعْرَابِنَا»** وفي رواية لابْنِ أَبي عَاصِمٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَحَسَبْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَبَلَغَ أَرْبَعَةَ آلاَفِ ألفٍ وتِسْعُمَائَةِ أَلْفٍ يَعْنِي: مِنْ عدّ الحَثيَاتِ وَقَد وَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ والطَّبَرَانِي مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُوبَ نَحْوَ حَدِيث عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ وَزَادَ: وَالخَبِيئَة بِمُعْجَمَةٍ ثُمَّ مُوَحَّدَةٍ وَهَمْزَةٍ وَزْنُ عَظِيمَةٌ عِنْدَ رَبِي وَرَدَّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعَدَدِ الَّذي حَسَبَهُ أَبُو سَعِيدٍ الأَنْصارِيُّ فَعِنْدَ أَحْمَدَ وأَبِي

يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ نَحْوُهُ بِلَفْظِ: أَعْطَانِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفاً سَبْعِينَ أَلْفاً وَفِي سَنَدِهِ رِوَايَتَانِ أَحَدُهُمَا ضَعِيفُ الحِفْظِ والآخَرُ لَمْ يُسَمَّ. وأَخْرَجَ الْبَيْهَقِي فِي الْبَعْثِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ وابْنِ حَزْمٍ مِثْلَهُ وَفِيهِ رَاوٍ ضَعِيفٌ أَيْضاً وَاخْتَلَفَ فِي سَنَدِهِ وفِي سِيَاقِ مَتْنِهِ وَعِنْدَ الْبَزَّارِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ نَحْوُهُ وَعِنْدَ الكَلَاباذِي فِي مَعَانِي الأَخْبَارِ بِسَنَدٍ وَاهٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: فَقُدْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ فِي مَشْرَبَةٍ يُصَلِّي فَرَأَيْتُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَةَ أَنْوَارٍ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «رأَيْتِ الأَنْوَارَ» قُلْتُ: نَعَم، قَالَ: «إِنَّ آتِياً أَتَانِي مِنْ رَبِّي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّه يُدْخِلُ الجَنَّة مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عِقَابٍ ثُمَّ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّه يُدْخِلُ مِنْ أُمَّتِي مَكَانَ كُلِّ واحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفاً سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ ثُمَّ آتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّه يُدْخِلُ مِنْ أُمَّتِي مَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفاً الْمُضَاعَفَةَ سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عِقَابٍ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ لاَ يَبْلُغُ هَذَا أُمَّتِي قَالَ: أُكْمِلُهُمْ لَكَ مِنَ الأَعْرَابِ مِمَّنْ لاَ يَصُومُ وَلاَ يُصَلِّي». قَالَ الْكَلَاباذِيُّ: الْمُرَادُ بِالأُمَّةِ أَوَّلاً أُمَّةُ الإِجَابَةِ وَبِقَوْلِهِ آخِراً أُمَّةُ الإِتْبَاعِ فَإِنَّ أُمَّتَهُ ﷺ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ أَحَدُهَا أَخَصُّ مِنَ الآخَرِ أُمَّةُ الإِتْبَاعِ ثُمَّ أُمَّةُ الإِجَابَةِ ثُمَّ

أُمَّةُ الدَّعْوَةِ فَالأُولَى: أَهْلُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ والثَّانِيَةُ: مُطْلَقُ الْمُسْلِمِينَ وَالثَّالِثَةُ: مَنْ عَدَاهُمْ مِمَّنْ بُعِثَ إِلَيْهِم وَيُمكِنُ الجَمْعُ بِأَنَّ الْقَدْرَ الزَّائِدَ عَلَى الَّذِي قَبْلَهُ هُوَ مِقْدَارُ الحَثَيَاتِ فَقَدْ وَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْ النَضِر بْن أَنَسٍ أَوْ غَيْرِهِ عَنْ أَنَسٍ رَفَعَهُ: **«إِنَّ اللَّه وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَمَائَةِ أَلْفٍ»** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّه فقالَ: **«هَكَذَا»** وَجَمَعَ كَفَّيْهِ فَقَالَ: زِدْنَا، فَقَالَ: **«وَهَكَذَا»** فَقَالَ عُمَر: حَسْبُكَ إِنَّ اللَّه إِنْ شَاءَ أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«صَدَقَ عُمَرُ»** وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ لَكِنْ اخْتُلِفَ عَلَى قَتَادَةَ فِي إِسْنَادِهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً اهـ. وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ عِنْدَ شَرْحِ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ وهُوَ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ لاَ نُطِيلُ بِهِ، قَالَ: وَفِيهِ تَفْضِيلُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ لِأَنَّ الرُّسُلَ وَالأَنْبِيَاءَ وَالْمَلاَئِكَةَ أَفْضَلُ مِمَّنْ سِوَاهُمْ وَقَدْ ظَهَرَ فَضْلُهُ فِي هَذَا المَقَامِ عَلَيْهِم قَالَ القُرْطُبِي: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِلاَّ الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ يَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ أُمَّتِي أُمَّتِي لَكَانَ كَافِياً، وَفِيهِ تَفْضِيلُ الأَنْبِيَاءِ المَذْكُورِينَ فِيهِ عَلَى مَنْ لَمْ يَذْكُرْ لِتَأَهُّلِهِمْ لِذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَظِيمِ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ اهـ، وَقَدْ أَلَّفَ الإِمَامُ جَلاَلُ الدِّينِ السُّيُوطِي تَأْلِيفاً سَمَّاهُ «تَزْيِينَ الأَرَائِكِ فِي إِرْسَالِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المَلاَئِكِ» أَطَالَ فِيهِ وَجَلَبَ الأَدِلَّةَ عَلَى أَنَّه

ﷺ نَبِيُّ الأَنْبِيَاءِ وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَفْضَلِيَّتِهِ قَالَ: فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ نَبِيُّ الأَنْبِيَاءِ وَلِهَذَا ظَهَرَ ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لِوَائِهِ وَفِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ صَلَّى بِهِمْ وَلَوِ اتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِ آدَمَ ونُوحٍ وإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَى وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِم الإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ وَبِذَلِكَ أَخَذَ اللَّهُ المِيثَاقَ عَلَيْهِمْ وَرِسَالَتُهُ إِلَيْهِمْ مَعْنًى حَاصِلٌ لَهُ وإِنَّمَا أَمْرُهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ مَعَهُ فَتَأَخَّرَ ذَلِكَ لأَمْرٍ رَاجِعٍ إِلَى وُجُودِهِم لاَ إِلَى عَدَمِ اتِّصَافِهِ بِمَا يَقْتَضِيهِ وفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ الفِعْلِ عَلَى قَبُولِ المَحَلِّ وتوقُّفِهِ عَلَى أَهْلِيَّةِ الفَاعِلِ فَهَاهُنَا لاَ تَوَقُّفَ مِنْ جِهَةِ الفَاعِلِ وَلاَ مِنْ جِهَةِ ذَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الشَّرِيفَةِ وإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ وُجُودِ العَصْرِ المُشْتَمِلِ عَلَيْهِ فَلَوْ وُجِدَ فِي عَصْرِهِمْ لَلَزِمَهُمْ اتِّبَاعُهُ بِلاَ شَكٍّ وَلِهَذَا يَأْتِي عِيسَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ عَلَى شَرِيعَتِهِ وَيَتَعَلَّقُ بِهِ مَا فِيهَا مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ كَمَا يَتَعَلَّقُ بِسَائِرِ الأُمَّةِ وَهُوَ نَبِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ لَوْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي زَمَانِهِ أو فِي زَمَانِ مُوسَى وإِبْرَاهِيمَ ونُوحٍ وآدَمَ كَانُوا مُسْتَمِرِّينَ على نُبُوَّتِهِمْ وَرِسَالَتِهِمْ إِلَى أُمَمِهِمْ والنَّبِيُّ ﷺ نبيٌّ عَلَيْهِمْ وَرَسُولٌ إِلَى جَمِيعِهِمْ فَنُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ أَعَمُّ وأَشْمَلُ وأَعْظَمُ وَمُتَّفِقٌ مَعَ شَرَائِعِهِمْ فِي الأُصُولِ لأَنَّهَا لاَ تَخْتَلِفُ وَتَقَدُّمُ شَرِيعَتُهُ فِيمَا عَسَاهُ يَقَعُ الإِخْتِلاَفُ فِيهِ فِي الفُرُوعِ إِمَّا

عَلَى سَبِيلِ التَّخْصِيصِ وإِمَّا عَلَى سَبِيلِ النَّسْخِ أَوْ لاَ نَسْخَ وَلاَ تَخْصِيصَ بَلْ تَكُونُ شَرِيعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي تِلْكَ الأَوْقَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُولَئِكَ الأُمَمِ مَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُم وفِي هَذَا الوَقْتِ بِالنِّسْبة إِلَى هَذِهِ الأُمَّةِ الشَّرِيفَةِ وَالأَحْكَام تَخْتَلِفُ بِاخْتِلاَفِ الأَشْخَاصِ وَالأَوْقَاتِ اهـ كَلاَمُ السُّبْكِيِّ وَقَدْ قَالَ: وَيَدُلُّ لِكَوْنِهِ مُرْسَلاً إِلَى الأَنْبِيَاءِ مَا وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَجَابِرِ بْنِ عبْدِ اللَّه مَرْفُوعاً: «كَانَ نَقْشُ خَاتِمِ سُلَيْمَانَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه» فَهَذَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَهَذَا التَّقْرِيرُ الَّذِي قَدَّرَهُ السُّبْكِيُّ فَقَد أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّرَفُ البُوصِيرِيُّ وقَدْ مَاتَ قَبْلَ مَوْلِدِ السُّبْكِيِّ بِقَوْلِهِ فِي البُرْدَةِ:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

وإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ نَبِيَّ الأَنْبِيَاءِ وَرَسُولاً إِلَيْهِمْ وَقَدْ قَامَتِ الأَدِلَّةُ عَلَى أَنَّ الأَنْبِيَاء أَفْضَلُ مِنَ المَلاَئِكَةِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَرْسُولاً إِلَى الملاَئكَة وأَنْ يَكُونُوا مِنْ جُمْلَةِ أَتْبَاعِهِ بِطَرِيقِ الأُولى. الدَّلِيلُ الْعَاشِرُ: أَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ مِنَ المَلاَئِكَة أُمُوراً لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْهَا: قِتَالُهُمْ مَعَهُ وَمِنْهَا: مَشْيُهُمْ خَلْفَ

ظَهْرِهِ إِذَا مَشَى وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ أَتْبَاعِهِ وَدَاخِلُونَ فِي شَرْعِهِ وَمِنْ كَلَامِ الرَّافِعِيِّ فِي خُطْبَةِ الْمُحَرَّرِ: وَأَخْدَمَتْهُ الْمَلَائِكُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 11]، هَذِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً وَالْمُعَقِّبَاتُ الْمَلَائِكَةُ يَحْفَظُونَ مُحَمَّداً ﷺ، أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبَرَانِيِّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ وَمِنْهَا أَنَّ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ أَيَّدَنِي بِأَرْبَعَةِ وُزَرَاءَ اثْنَيْنِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَاثْنَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»، وَالْوَزِيرُ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَلِكِ ضَرُورَةً فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ رُؤُوسُ أَهْلِ مِلَّتِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رُؤُوسُ أَهْلِ مِلَّتِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ ﷺ صَلَّى عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِأَسْرِهِمْ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسْأَلُونَ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ عَنْهُ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُ أُمَّتَهُ إِذَا قَاتَلَتِ الْعَدُوَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِنُصْرَةِ دِينِهِ وَهَذِهِ خَصِيصَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمِنْهَا: أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام يَحْضُرُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِهِ لِيَطْرُدَ عَنْهُ الشَّيْطَانَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أُمَّتِهِ وَتُسَلِّمُ

عَلَيْهِمْ، وَمِنْهَا: أَنَّهَا أُعْطِيَتْ قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةَ مِنْ كِتَابِهِ وَلَمْ تُعْطَ قِرَاءَةَ شَيْءٍ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ وَهِيَ حَرِيصَةٌ عَلَى سَمَاعِ بَقِيَّةِ الْقُرْآنِ مِنَ الإِنْسِ دُونَ سَائِرِ الْكُتُبِ وَمِنْهَا: أَنَّهُ نَزَلَ إِلَيْهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَمْ يَنْزِلْ إِلَى الأَرْضِ مُنْذُ خُلِقَ كَإِسْرَافِيلَ وَمِنْهَا: أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلَهُ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ وُكِّلَ بِقَبْرِهِ الشَّرِيفِ مَلَكٌ يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ، وَمِنْهَا: أَنَّه يُنْزِلُ عَلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَضْرِبُونَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُحِفُّونَهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَنْ يُمْسُوا فَإِذَا أَمْسُوا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ كَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحُوا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ اهـ. وَقَالَ فِي رُوحِ الْمَعَانِي عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253]، قَالَ: وَالْمُرَادُ بِبَعْضِهِمْ هُنَا النَّبِيُّ ﷺ كَمَا تُنْبِيءُ عَنْهُ الأَخْبَارُ بِكَوْنِهِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ قَدْ خُصَّ بِمَزَايَا تَقِفُ دُونَهَا الأَمَانِي جَسْراً وَامْتَازَ بِخَوَاصَ عِلْمِيَّةً وَعَمَلِيَّةً لَا يَسْتَطِيعُ لِسَانُ الدَّهْرِ لَهَا حَسْراً وَرَقِيَ أَعْلَا فَضْلٍ رُفِعَتْ لَهُ عَلَى كَوَاهِلِهِ الأَعْلَامُ وَطَأْطَأَتْ لَهُ رُؤُوسُ شُرَفَاتِ الشَّرَفِ فَقَبَّلَتْ مِنْهُ الأَقْدَامُ فَهُوَ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَالْمَنْعُوتُ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُنْزَلُ عَلَيْهِ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]،

وَالْمُؤَيَّدُ دِينُهُ وَالْمُؤَيَّدُ بِالْمُعْجِزاتِ الْمُسْتَمِرَّةِ الْبَاهِرَةِ وَالْفَائِزُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى فِي الآخِرَةِ وَالإِبْهَامُ لِتَفْخِيمِ شَأْنِهِ وَلِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ الفَرْدُ الغَنِيُّ عَنِ التَّعيين، وَفِي سِرَاجِ المُنيرِ عِنْد تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ [البقرة: 253] وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ دَرَجَاتٍ عَلَى غَيْرِهِ بِعُمُومِ الدَّعْوَةِ وَخَتْمِ النُّبُوَةِ وَالأَتْبَاعِ الْكَثِيرَةِ فِي الأَزْمَانِ الطَّوِيلَةِ وَبِنَسْخِ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَبِكَوْنِهِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَتَفْضِيلِ أُمَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ بِالْمُعْجِزَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ وَأَظْهَرَهَا الْقُرْآنُ الَّذِي عَجَزَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَنِ الإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَالآيَاتُ الْمُتَعَاقِبَةُ بِتَعَاقُبِ الدُّهُورِ وَالفَضَائِلُ الْعِلْمِيَّةُ وَالعَمَلِيَّةُ الْغَالِبَةُ لِلْحَصْرِ وَلَوْ لَمْ يُؤتَ إِلاَ الْقُرْآنَ وَحْدَهُ كَفَى بِهِ فَضْلاً مُنِيفاً عَلَى سَائِرِ مَا أُوتِيَ الأَنْبِيَاءُ لأَنَّهُ الْمُعْجِزَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ دُونَ سَائِرِ الْمُعْجِزَاتِ وبانْشِقَاقِ القَمَرِ بإِشَارَتِهِ وَحَنِينِ الجِذْعِ بِمُفَارَقَتِهِ وَتَسْلِيمِ الحَجَرِ عَلَيْهِ وَكَلَامِ البَهَائِمِ والشَّهَادَةِ برسالَتِهِ ونَبْعَ المَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يُحْصِيهِ إِلاَّ اللَّه تَعَالَى. وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ وَإِنما كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّه إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ أَتْبَاعاً يَوْمَ القِيَامَةِ**». وَرُوِيَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أُعْطِيتُ**

خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضَ مَسْجِداً وَطَهُوراً فأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وأُحِلَّت ليَ الغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وبُعِثْتُ إلى النَّاس عَامَّةً».

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «فُضِّلْت عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُوتيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ وأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً وأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النبِيُّونَ»، وَفِي تَفْسِير رُوحِ الْبَيَانِ عِنْدَ آيةِ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115] مَا نَصُّهُ: يُرْوَى أَنَّ إِمَامَ الحَرَمَيْنِ رَفَعَ اللَّه دَرَجَتَهُ في الدَّارَيْنِ نَزَلَ ببَعْضِ الأَكَابِرِ ضَيْفاً فاجْتَمَعَ عِنْدَهُ العُلَمَاءُ وَالأَكَابِرُ فَقَام واحِدٌ مِنْ أَهْلِ المَجْلِس فَقَالَ: مَا الدَّلِيلُ عَلى تَنَزُّهِهِ تَعَالى عَنِ المَكَانِ وَهُوَ قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]؟ فَقَالَ: الدَّلِيلُ عَلَيْهِ قول يُونُس عليه السلام فِي بَطْنِ الحُوتِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ النَّاظِرُونَ فَالتَمَسَ صَاحِبُ الضِيَافَةِ بَيَانَهُ فَقَالَ الإِمَامُ هَاهُنَا فَقِيرٌ مَدْيُونٌ بأَلْفِ دِرْهَم أَدِّ عَنْهُ دَيْنَهُ حَتَّى أُبينَهُ فَقَبِلَ صَاحِبُ الضِّيَافَةِ فقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لمَّا ذَهَبَ فِي المِعْرَاج إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ العُلَى قَالَ: «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كمَا أَثْنَيْتَ عَلَى

نَفْسِكَ» وَلَمَّا ابتُلِي يُونُسُ عليه السلام بالظَّلمَاءِ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ بِبَطْنِ الْحُوتِ قَالَ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] فَكُلٌّ مِنْهُمَا خَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ: أَنْتَ خِطَابَ الحَضُورِ فَلَوْ كَانَ هُوَ فِي مَكَانٍ لَمَّا صَحَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي مَكَانٍ، وَفِي الحَدِيثِ: «**لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ ابْنِ مَتَّى فَإِنَّهُ رَأَى فِي بَطْنِ الحُوتِ مَا رَأَيْتُ فِي أَعْلَى الْعَرْشِ**»، يُشِيرُ ﷺ بِذَلِكَ إِلَى مَا وَقَعَ لَهُ وَلِيُونُسَ عليه السلام تَجَلِّي الذَّاتِ اهـ.

(**خاتمة**) قَالَ العَلَّامَةُ الْعَارِفُ بِاللَّه الغَارِفُ المُحِبُّ الجَانِي مِنْ ثِمَارِ الْعُلُومِ الخَارِفَ سَيِّدِي يُوسُفُ النَّبْهَانِي فِي كِتَابِهِ نُجُومِ المُهْتَدِينَ: المُفَاضَلَةُ بَيْنَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ والسَّلَامُ وَهَا أَنَا أَذْكُرُ إِجْمَالاً، الفَرْقَ بَيْنَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ والسَّلَامُ الَّذِي لاَ يَخْتَلِفُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ المُؤَرِّخِينَ المُسْلِمِينَ وَغَيْرِ المُسْلِمِينَ وَأَتْرُكُ الحُكْمَ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَهُمَا إِلَى المُنْصِفِينَ المُصَنِّفِينَ، فَأَقُولُ: لاَ شَكَّ أَنَّهُمَا رَسُولاَنِ كَرِيمَانِ للَّه تَعَالَى كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُمَا عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ فاللَّه سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى هُوَ المَلِكُ الحَقُّ وَهُمَا عَبدَاهُ المُقَرَّبَانِ لَدَيْهِ مِنْ خُلَاصَةِ الْخَلْقِ وَقَدْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ضَعِيفاً أَمَّا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَإِنَّ رَبَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ قَوَّاهُ وأَعَزَّهُ ونَصَرَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ وأَمَرَهُ بِحَرْبِهِمْ وَعَصَمَهُ مِنْ ضَرَرِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ شأْنَهُ شَيْئاً فَشَيْئاً إِلَى أَنْ مَاتَ وَجَمِيعُ الْعَرَبِ طَائِعَةً لَهُ دَاخِلَةً فِي دِينِهِ مُنْقَادَةً لِحُكْمِهِ وَسَائِرُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ سُمُّوا بِهِ مُلُوكِ الرُّوم والفُرْسِ وَالقِبْطِ وَالحَبَشَةِ خَافُوا سَطْوَتَهُ وَبَعْضُهُمْ آمَنَ بِهِ وَبَعْضُهُمْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الهَدَايَا إِتِقَاءَ بَطْشِهِ وَمَا مَاتَ حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ مَائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ يَفْدِيهِ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَلَهُ ﷺ الفَضْلُ فِي قَبُولِ ذَلِكَ وأَدَوَاتُهُ الَّتِي بَلَّغَهُ بِهَا هَذَا الشَّرَفَ الْعَظِيمِ هِيَ الْمُعْجِزَاتُ وَخَوَارِقُ الْعَادَاتِ الَّتِي أَجْرَاهَا سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَلَى يَدِهِ وأَعْظَمُهَا القُرْآنُ وَمَا كَانَ مِنْ عِصْمَتِهِ لَهُ مِمَّنْ يُرِيدُ إِذَايَتَهُ وَنَصْرَهُ فِي الحُرُوبِ وإِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِ وَلَوْ قَبْلَ الحَرْبِ بِمُجَرَّدِ السَّمَاعِ وَلَولاَ ذَلِكَ لَمَا انْقَادَتْ تِلْكَ الأُمَّةَ العَظِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي غَايَةِ الجَهْلِ وَالتَّوَحُشِ مُنْعَكِفَةٌ عَلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ غَارِقَةٌ فِي بِحَارِ الضَّلاَلِ وَالطُّغْيَانِ حَتَّى أَنَّ نَفْسَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ نُصْرَتُهُ وَالإِسْرَاعُ إِلَى الإِنْقِيَادِ إِلَيْهِ كَانُوا أَعْظَمُ أَعْدَائِهِ وَبَذَلُوا أَقْصَى مَا فِي وُسْعِهِمْ فِي مُحَارَبَتِهِ وإِذَايَتِهِ وَتَنْفِيرِ النَّاسِ مِنْهُ وَتَأَلَّبُوا عَلَى قَتْلِهِ وَهُوَ بَيْنَهُمْ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعَفٌ وَكُلَّمَا زَادُوا فِي أَذَاهُ زَادَ فِي

إِقْدَامِهِ عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّه وَدُعَائِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ وتَرْكِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالضَلَال ثُمَّ لَمَّا شَاهَدُوا كَثِيراً مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَسَمِعُوا الْقُرْآنَ وَعَرَفُوا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ ظُهُورِهِ عَلَيْهِم وَلَمْ تَسْمَحَ نُفُوسُهُمْ بِتَرْكِ دِينِ آبَائِهِمْ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلُوهُ مَلِكاً عَلَيْهِمْ بِشَرْطِ أَنْ لاَ يَتَعَرَّضَ لِدِينِهِمْ فَلَمْ يَقْبَلْ وأَصَرَّ عَلَى إِقْدَامِهِ عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّه فأَصَرُّوا عَلَى أَذَاهُ وَلَمْ يَزِلِ الأَمْرُ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ ﷺ مِنْهُمْ إلى أَنْ خَلَّصَهُ اللَّه تعالى مِنْ بَيْنِهِمْ سَالِماً بَعْدَ أَنْ صَمَّمُوا عَلَى قَتْلِهِ وَهَجَمُوا عَلَى دَارِهِ لَيْلاً فَلَمْ يَجِدُوهُ فِيهَا وَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فأَخْبَرَهُ باجْتِمَاعِهِمْ لِقَتْلِهِ وأَمَرَهُ بالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ الَّتِي جَعَلَ اللَّه لَهُ فِيهَا أَنْصَاراً وَهَاجَرَ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُ يَعْلُوا ورَبُّهُ يَنْصُرُهُ وَيُؤَيِّدُهُ إِلَى أَنِ اتَّسَعَ نِطَاقَ الإِسْلاَم وَكَانَ مِنْ ظُهُورِهِ ﷺ وَظُهُورِ دِينِهِ مَا كَانَ وانْفَرَدَ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ عَلَى الإِطْلاَقِ فِي العِزِّ والْمَجْدِ والشَّرَفِ وَنُفُوذِ الكَلِمَة بحَيْثُ لاَ يُسَاوِيهِ وَلاَ يُدَانِيه فِي ذَلِكَ أَحَدٌ وَثَبَتَ عِنْدَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّه حَقّاً لِكَثْرَةَ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ المُعجِزَاتِ المُتَنَوِّعَةِ أَنْوَاعاً كَثِيرَةً بِحَيْثُ لاَ يُمْكِنُ حُصُولَهَا وَلاَ حُصُولُ بَعْضِهَا إلاَّ مِنْ نَبِيٍّ صَادِقٍ مُرْسَل مِنْ عِنْدِ اللَّه إِلَى

خَلْقِهِ وَقَدْ رَزَقَهُ أَصْحَاباً هُمْ مِنْ خِيَارِ خَلْقِ اللَّه تعالَى عَقْلاً وفَضْلاً وكَمَالاً وَقُوَّةً واقْتِدَاراً وَشَجَاعةً وَعِلْماً وَعَدْلاً ووَقَاراً وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِهِم الجَمِيلَةِ المَعْلُومَةِ مِنَ التَّوَارِيخ التي يَشْهَدُ لَهُم بِصِحتِهَا أَعْدَاؤُهُمْ فَضْلاً عَنْ أَحْبَابِهِمْ فَحَفِظَ اللَّه بِهِمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ دِينَهُ وقُرْآنَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيل وَنَشَرُوهُ فِي أَقْطَارَ الأَرْضِ وَفَتَحُوا الفُتُوحاتِ الْعَظِيمَةِ وَوَسَّعُوا نِطَاقَ الإِسْلاَم فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ سِعَةً عَظِيمَةً لا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بِمُجَرَّدِ الصَّدَفَةِ وَالإِتِفَاقِ وَلَكِنَّ بِتَأْيِيدٍ مِنَ المَلِكَ الخَلاَّق ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللَّه تَعَالَى يَقِيض الأَئِمَّةَ وَالعُلَمَاءَ فِي كُلِّ الأَعْصَارِ وَالأَمْصَارِ إِلَى خِدْمَةِ دِينِهِ ﷺ وَنَشْرِهِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَى شَرِيعَتِهِ وَعَقَائِدِهِ مِنْ ضَلاَلاَتِ الضَّالِينَ وَشُبُهَاتِ الملحِدِينَ وَتَعَمُّدَاتِ الْكَافِرِينَ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا ذَلِكَ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مَحْفُوظٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَعَ كُلِّ مَا حَصَلَ لَهُ ﷺ مِنْ الجَاهِ الْعَظِيم بَيْنَ الخَلْقِ وَمَا اخْتَصَّهُ اللَّه بِهِ مِنَ المُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالآيَاتِ البَيِّنَاتِ وَمَا لاَ يُحْصَى مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ لَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ عَصْرِهِ إِلَى الآن زَعَمَ فِيهِ الأُلُوهِيَّةَ مَعَ اعْتِقَادِ جَمِيع المُسْلِمِينَ أَنَّه ﷺ بَلَغَ أَقْصَى غَايَاتِ الْكَمَالِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ الَّتِي لَمْ يُمْكِنْ لَمَخْلُوقٍ وَهُمْ مُجْمِعُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ عَبْدُ

اللَّه تَعَالَى وَرَسُولُهُ حِمَايَةً مِنَ اللَّه تَعَالَى لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ كَانَ ﷺ حَرِيصاً جِدّاً عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنَّهُ مَعْ بُلُوغِهِ مَا بَلَغَ مِنْ غَايَةِ الشَّرَفِ وَالمَجْدِ الَّذِي لَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ كَانَ يَلْهَجُ كَثِيراً بِنَحْو قَولِهِم: «**إِنَّما أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كمَا يأْكُلُ الْعَبْدُ وأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ**» ونَحْوُهُ قَوْلُهُ: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِين**» وَنَحْوُ قَوْلِهِ لامْرَأَةٍ ارْتَعَدَتْ مِنْ هَيْبَتِهِ: «**هَوِّنِي عَلَيْكِ فَإِنَّمَا أَنَا ابنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تأْكُلُ الْقَدِيدَ**» وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ إِظْهَاراً لعُبُودِيَّتِهِ للَّه تَعَالَى وشَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ أَنْ لاَ يَدْعُوا فِيه الأُلُوهِيَّةِ فَيَضِلُّوا كَمَا ضَلَّتِ النَّصَارَى بِدَعْوَى الأُلُوهِيَةِ فِي سيِّدِنَا عِيسَى عليه السلام وَقَدْ ضَلَّ بَعْضُ الْفِرَقِ بِدَعْوَاهَا فِي سَيِّدِنَا عَلِيّ وَغَيْرِهِ، هَذَا حَالُ رَسُولِ اللَّه ﷺ بالإِجْمَالِ. وأَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى عليه السلام فَهُوَ أيضاً قَدْ نَشَأَ مِثْلَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ضَعِيفاً مُسْتَضعفاً إلاَّ أَنَّ اللَّه تَعَالَى لَمْ يَقْدِّرْ لَهُ مِنَ العِزِّ والْمَجْدِ والشَّرَفِ والْقُوَّةِ والإِقْتِدَارِ وَنُفُوذِ الْكَلِمَةِ وَطَاعَةِ النَّاسِ وَنَشْرِ الدِّينِ قَبْلَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ مَا قَدَّرَهُ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بأَنْ عَامَلَهُ اللَّه بِعَكْسِ مَا عَامَلَ سيِّدَنا مُحَمَّداً ﷺ وللَّه فِي ذَلِكَ حكمٌ وَهُوَ يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ وَلاَ اعْتِرَاضَ

عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فِي كُلِّ أَحْكَامِهِ فَقَدْ أَضْعَفَ سَيِّدَنَا عِيسَى عَنْ مُقَاوَمَةِ أَعْدَائِهِ وأَضْعَفَ أَوْلِيَاءَهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِهِ مَعَ قِلَّتِهِمْ وَذِلَّتِهِمْ وَقَوَّى أَعْدَاءَهُ الْكَافِرِينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَعِزِّهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ عَلَيْهِ حَتَّى أَهَانُوهُ بِأَنْوَاعِ الإِهَانَاتِ المَشْرُوحَةِ فِي أَنَاجِيلِ أَحْبَابِهِ وَهُمْ كُلُّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِهَا وَلَكِنَّهُمْ يَخْرِجُونَ مِنَ الضَّعْفِ قُوَّةً وَمِنَ الذُّلِ عِزّاً وَمِنَ التَّحْقِيرِ تَعْظِيماً وتَبْجِيلاً والحَاصِلُ أَنَّهُمْ يَعْكِسُونَ الحَقَائِقَ وَيَعْتَقِدُونَ الأَشْيَاءَ عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَزَلْ أَعْدَاؤُهُ الْيَهُودُ مُسَلَّطِينَ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الأَذَى والإِهَانَاتِ حَتَّى جَعَلَ اللَّه لَهُ فَرَجاً وَمَخْرَجاً فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وأَلْقَى شِبْهَهُ عَلَى مَنْ دَلَّهُمْ عَلَيهِ جَزَاءً لَهُ فَصَلَبُوا ذَلِكَ الشَّبِيهَ، والنَّصَارَى تَعْتَقِدُ أَنَّهُ هُوَ المَصْلُوبُ وأَنَّهُ ابْنُ اللَّه لاَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَهَذَا أَيْضاً يَكُونُ أَبْلَغَ بِإِقَامَةِ الحُجَّةِ لأَنَّ اللَّه تَعَالَى يَكُونُ قَدْ أَكْرَمَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ بِإِعْزَازِهِ ونَصْرِهِ وتَأْيِيدِهِ إِلَى أَقْصَى دَرَجَةِ تَمَكُّنٍ وَفَعَلَ عَكْسَ ذَلِكَ بِسَيِّدَنَا عِيسَى عليه السلام فَإِنَّهُ أَهَانَهُ غَايَةَ الإِهَانَةِ إِلَى أَقْصَى دَرَجَةِ تَمَكُّنٍ بِتَسْلِيطِ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ وتَخَلِّيهِ عَنْ نُصْرَتِهِ بِالكُلِّيَّةِ حَتَّى فَعَلُوا فِيه تِلْكَ الأَفْعَالَ الَّتِي تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الجُلُودُ وتَضْطَرِبُ لَهَا النُّفُوسُ، وَأَمَّا مَا يَذْكُرُونَهُ لِذَلِكَ مِنَ الأَسْبَابِ المَوْهُومَةِ المُلَفَّقَةِ الَّتِي لاَ يَقْبَلُهَا عَقْلٌ وَلاَ يُؤَيِّدُهَا نَقْلٌ فَهِيَ

مُجَرَّدُ أَوْهَامٍ لاَ تَرُوجُ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ أَدْنَى الِمَامَ. إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّه مِنَ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْكُمَ بِخِلاَفِ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ المُنْصِفِينَ ذَوِي الأَحْلاَمِ إلخ. وَمَنْ وَقَفَ عَلَى مَا جَلَبْنَا مِنْ نُصُوصِ الْعُلَمَاءِ عَلَى الآيَاتِ والأَحَادِيثِ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّد بْنَ عَبْدِ اللَّه رَسُولُ اللَّه ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وآخِرُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ فَهُوَ نَبِيٌّ وآدَمَ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ وأَرْسَلَهُ اللَّه رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَمِن نُورِهِ اسْتَمَدَّ الأَنْبِيَاءَ وَالمُرْسَلُونَ وَلاَ سِيَّما غَيْرُهُمْ وَهُوَ فِي الْيَوْمِ الآخِرِ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ صَاحِبُ المَقَامِ المَحْمُودِ وَصَاحِبُ الْكَوْثَرِ وَالْوَسِيلَةِ فَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُ فَهُوَ جَاحِدٌ، قَالَ:

عَلَّي نَحْتُ المَعَانِي مِنْ مَعَادِنِهَا
وَمَا عَلَّي إِذَا لَمْ تَفْهَمِ الْبَقَرُ

وَصَلَّى اللَّه عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً واللَّه يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ، وأَخْتِمُ الرِّسَالَةِ بِقَصِيدَةٍ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ زَوَّرَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَقِيدَةِ أَهْلِ الرُّسُوخِ،

وهِيَ قَوْلُنَا:

وَحْـيٌ أَتَـاكَ مِـنَ الإِلَـهِ الأَعْـظَـمِ
لاَ رَيْـبَ فِـي هَـذَا لِـغَـيْـرِ جَـهَـنَّـمِ
وَلأَنْـتَ مَـعْـصُـومٌ نَـزِيـهٌ زَاهِـدٌ
ذُو عِـفَّـةٍ وَتَـخَـشُّـعٍ وتَـكَـرُّمِ
لَـكَ عِـصْـمَـةٌ وَطَـبِـيـعَـةٌ تَـأْبَـى الـدَّنِـيَّـةَ
وَالـسَّـفَـاسِـفُ قَـبْـلَ ذِكْـرٍ مُـحْـكَـمِ
وَلأَنْـتَ تَـشْـفَـعُ يَـوْمَ ذَاكَ لِـمُـذْنِـبٍ
أَلِـفَ الـبَـطَـالَـةَ كُـلَّ وَقْـتٍ مُـسْـلِـمِ
فَـلَـنَـعْـم دِيـنُ الـهَـاشِـمِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ
فَـاخْـسَـأْ أَيَـا هَـذَا نَـزِيـلَ جَـهَـنَّـمِ
تُـمْـسِـي تُـحَـارِبُ أَحْـمَـداً وَتَـسُـبُّـهُ
فَـفِـداً لَـهُ أَرْغَـمْـتَ كُـلَّ مُـعَـظَّـمِ
مَـا فِـيـه مِـنْ كَـرَمِ الـطِّـبَـاعِ يُـجِـلُّـهُ
فَـوْقَ الَّـذِيـنَ عَـرَفْـتَ مِـنْ سِـرِّي حَـمِ
تَـقْـفُـوهُ لِـلـنَّـهْـجِ الْـقَـوِيـمِ جَـهَـابِـذٌ
وأَئِـمَّـةٌ مِـنْ كُـلِّ أَرْوَعَ عَـيْـلَـمِ
وَأَتَـى بِـهِ الـرُّوحُ الأَمِـيـنُ فَـهَـلْ تَـجِـدْ
مِـنْ رَيْـبَـةٍ كَـلاَّ وَفِـعْـلٍ مُـتَّـهَـمِ
مَـا جَـاءُ شَـيْـطَـانٍ وَلَـيْـسَ بِـسَـاحِـرٍ
لاَ مُـفْـتِـرٍ كَـلاَّ وَلَـيْـسَ بِـمُـجْـرِمِ

بَـلَـهَ الـخَـبِـيـثَ وَخُـبْـثَـهُ وَظُـنُـونَـهُ

هَـذَا الـلَّـعِـيـنُ الْـمُـفْـتَـرِي الْـغَـاوِي الْـعَـمِ

وَالـقَـدْحُ فِـي هَـادِي الْـبَـرِيَّـةِ لَـمْ يَـكُـنْ

إلاَّ بِـقَـدْحٍ فِـي الـجَـلِـيـلِ الْـمُـنْـعِـمِ

إِذْ أَنَّـهُ بَـارِي الْـبَـرِيَّـةِ بَـاعِـثُ الْـ

ـهَـادِي وَرَافِـعُ دِيـنِـهِ لَـتَـقَـدُّمِ

وَلَـكُـمْ أَجَـابَ دُعَـاءَهُ وَلَـكُـمْ أَبَـا

دَ عِـدَاءَهُ مِـنْ كُـلِّ قَـدْمٍ أَجْـرَمِ

وَالـحِـلْـمُ والـزُّهْـدُ الْـعَـظِـيـمُ خَـلِـيـقَـةٌ

لِـلْـمُـصْـطَـفَـى الْـمُـخْـتَـارَ أَفْـضَـلِ مُـنْـعِـمِ

وَصِـحَـابُـهُ قَـوْمٌ ثِـقَـاةٌ سَـادَةٌ

نَـبَـذُوا الـضَّـلالَـةَ لِـلْـقَـوِيـمِ الأَقْـوَمِ

كَـمْ أَرْشَـدُوا الآفَـاقَ بَـعْـدَ مَـنَـامِـهِ

وَسَـقَـوْا عُـلُـوماً كُـلَّ أَعْـجَـمَ طَـمْـطَـمِ

إِنْ يَـسْـكُـنِ الـرُّهْـبَـانُ دَيْـراً يَـعْـبُـدُو

نَ صَـلِـيـبَـهُـمْ وَهُـمْ وَقُـودُ جَـهَـنَّـمِ

هَـا نَـحْـنُ نَـعْـبُـدُ رَبَّـنَـا وَبَـدِيـعَـنَـا

نُـجْـرِي الـجَـدَى لِـلْـحَـقِّ نَـهْـدِيَ مَـنْ عَـمِ

تَـعْـظِـيـمُ خَـلاَّقِ الـعَـوَالِـمِ دِيـنُـنَـا

مِـنْ قَـبْـلِ إِشْـفَـاقٍ وَفِـعْـلِ تَـرَحُّـمِ

وَتَبَصُّرٍ فِي الدِّينِ نَقْفُو أَحْمَداً
بِتَمَثُّلٍ وَتَعَقُّلٍ وَتَعَلُّمِ
وَتَعَفُّفٍ وَصِيَانَةٍ وَتَكَسُّبٍ
وَتَيَقُّنٍ وَتَكَافُؤٍ وَتَكَرُّمِ
فَدَعِ الْمَقَالَةَ عِنْدَهُمْ فَالدِّينُ فَوْ
قَ الْعَقْلِ واتَّبِعِ الْهُدَى بِتَفَهُّمِ
فَالْعَقْلُ يَأْبَى أَنْ يَكُونَ مُخَلَّقٌ
حَدَثٌ إِلهاً قَدْ بَرَى نَهْجَ الْعَمِ
فَاللَّه فَوْقَ الْعَقل والدِّينِ السَّوِي
بِتَبَصُّرٍ وتَشَبُّثٍ وَتَكَلُّمِ
شَتَّانَ بَيْنَ الْمُنْهجِينَ فَعَابِدٌ
لِلْمُكَوَّنِ وَلِلصُّورَةِ بِتَجَسُّمِ
نُورُ النَّبيِّ الْمُصْطَفَى والْمُصْطَفى
أَبْهَى وأَظْهَرُ مِنْ ذُكَا أَوْ جَيْلَمِ
لَكِنَّهُمْ عُمْيُ الْبَصَائِرِ كَاليَهُو
دِ الْخُبْثِ كُلٌّ فِي جَحِيمٍ مُضْرَمِ
قَدْ كَذَّبُوا عِيسَى النَّبيَّ وأَنْتُمُ
أَلْزَمْتُمُوا فِيهِ الَّذِي لَمْ يَلْزَمِ
إِذْ أَنَّهُ عَبْدُ الإِلَهِ صَفِيُّهُ
رُوحٌ مِنَ الرُّوحِ الأَمِينِ لِمَرْيَمِ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أُمُّهُ وَجُدُودُهُ
خَلْقٌ مِنَ أَفْعَالِ الجَلِيلِ الأَقْدَمِ
وَكَذَا مُحَمَّدٌ رُوحُهُ وَحَبِيبُهُ
سِرٌّ سُرَى أَسْرَى لَهُ بِتَقَدُّمِ
مَا الخِلُّ مَا مُوسَى الْكَلِيمُ بِجَنْبِهِ
إِلاَّ كَعِيسَى قَدْ صَفَاهُ مُقَدِّمِ
اللَّهُ رَبِّي أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ
هُوَ ظَاهِرٌ هُوَ بَاطِنٌ هَلْ مِنْ سَمِي
وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِمْ
عَبْدٌ وَعِنْدَ اللَّهِ جِدٌّ مُعَظَّمِ
مَا ضَلَّ فِيهِ قَوْمُهُ لِكَمَالِهِ
وَرَشَادِهِمْ وَلِرَفْضِ كُلِّ مُوَهَّمِ
شَهِدُوا بِنُورِ الْمُصْطَفَى مَوْلَى البَرَا
يَا وَاحِداً وَرَقَوْا بِأَفْضَلِ سُلَّمِ
بِخِلَافِ مَنْ عَبَدُوا المَسِيحَ ضَلَالَةً
بَلْ حَسْبُهُمْ هَذَا الصَّلِيبُ لَهُ نُمِي
خَلْقُ النَّبِيِّ وَخَلْقُهُ ونُشُوءُهُ
يُنْبِي الْفَتَى إِنْ لَمْ يَكُنْ بِمُتَهَمِ
وَتَوَاتَرَتْ آيَاتُهُ وَلَحَسْبُهُ
هَذَا الْكِتَابُ الْمُرْتَضَى لِمُعَلَّمِ

هَذَا الْكِتَابُ الْمُعْجِزُ الْبَاقي الجَدِيـ
ـدُ الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي لَمْ يُقْسَمِ
وَالْبَدْرُ شُقَّ وَالذُّكَاءُ تَرَاجَعَتْ
وَالْمَاءُ عَذْباً فَاضَ مِنْ جَسَدِ الْكَمِ
قَدْ حَنَّ جِذْعٌ وَالظِّبَاءُ تَكَلَّمَتْ
في العَام أَيْنَعَتْ النَّخِيلُ لِلأَكْرَمِ
مِثْلَ الغَمَامَةِ وَالحِجَارَةِ ظِلُّهَا
وَسَلاَمِهَا عَلَيْهِ خَيْرَ مُسَلَّمِ
أَوْ سَرْحَةٍ تَمْشِي إِلَيْهِ وَضَبِّهِ
قَدْ ماتَ يَنْطِقُ كَالفَصِيحِ المُسْلِمِ
وَالسُّوطُ حِينَ يَصِيرُ سَيْفاً بَاتِراً
لِعُكَاشَةٍ يَفْرِي بِدُونِ تَثَلُّمِ
وَلِعَامِرٍ أَمْسَى سِرَاجاً سَاطِعاً
أَنْوَارُهُ فِي جُنْحِ لَيْلٍ مُظْلِمِ
وَالصَّاعُ مِنْ بُرٍّ بِمَسِّ المُصْطَفَى
كَفَتِ الأُلُوفَ بِيُمْنِ خَيْرٍ مُكَرَّمِ
فَلَهُ تَوَاتَرَ مُعْجِزَاتٌ بَاهِرا
تٌ أَوْجَبَتْ تَصْدِيقَ كُلَّ مُفَخَّمِ

فَعَتِيقُ أَفْضَلُ أُمَّةٍ شُرِّفَتْ بِهَا
ذا الْمُرْتَضَى وَافَى بِدُونِ تَلَوُّمِ
وَافَى كَذَا الْفَارُوقُ أَيْنَ شَبِيهُهُ
فِي النَّاسِ يَنْفِرِي فَرْيَ هَذَا الْعَيْلَمِ
وَكَذَاكَ عُثْمَانُ الإِمَامُ مُجَمِّعُ
الْفُرْقَانِ ذُو نُورَيْنِ غَيْثُ الْمُعْدَمِ
واذْكُرْ عَلِيًّا صِنْوَهُ وَوَزِيرَهُ
زَوجَ الْبَتُولِ الْمُرْتَضَى الأَسَدْ الْكَمِي
وَاذْكُرْ زُبَيْراً وَاذْكُرَنْ سَعْداً كَذَا
واذكُرْ سَعِيداً بَعْدَ ثَانِي مُسْلِمِ
بَلْ طَلْحَةَ الْبَطَلَ الْجَوَادَ وَعَامِراً
وَابْناً لِعَوْفٍ الْقَرْمِ مَوْلَى الأَنْعُمِ
أُولاكَ قَوْمِي هَلْ تَجِيءُ بِمِثْلِهِمْ
مِنْ تِي الْكَنَائِسِ دَيْرِ أَهْلِ جَهَنَّمِ
لاَ، لاَ، فَأَقْصِرْ يَا كَذُوبُ فَإِنَّمَا
دِينٌ سِوَى دِينِ النَّبِي لَمْ يُسْلَمِ
فَالْعَقْدُ شَرْطٌ وَالْعَقَائِدُ عِنْدَكُمْ
مَوْهُومَةٌ مَكْذُوبَةٌ لَمْ تُحْكَمِ
إِذْ هِيَ لِلتَّمْثِيلِ وَالزِيغ الَّذِي
يَأْبَاهُ قَلْبُ الْمَرْءِ إِنْ لَمْ يُظْلَمِ

وَكَذَا الحُلُولُ أَوِ البُنُوَّةُ لَمْ يَمِلْ
لِلْكُلِّ غَيْرُ أَخِي شَقَاءٍ مُبْرِمِ
وَلَرُبَّمَا غَرَّ الجَهُولَ ضَلاَلَةُ الْـ
ـعَدَدِ الْكَثِيرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمِ
أَنَّ الَّذِي خَلَقَ الخَلاَئِقَ لَمْ يُرِدْ
فَوْزَ الجَمِيعِ فَهُوَ غَيْرُ مُحَتَّمِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْكَوْنِ فَرْداً لاَ تَرَى
مِنْ ظَاهِرٍ كَلاًّ وَلاَ مِنْ مُبْهَمِ
فَأْتُوا إِلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ عِبَادَةِ الْـ
ـمَوْلَى بِلاَ شِرْكٍ بِغَيْرِ تَلَعْثُمِ
الرَّبُّ رَبٌّ مَا سِوَاهُ عَبِيدُهُ
بَلْهَ الغَبَاوَةَ وانْحَ نَحْوِي تَسْلَمِ
إِنِّي أَلُوذُ بِهِ وَأَرْجُو كَوْنَهُ لِي
شَافِعاً إِنِّي طَرِيدُ المَأْثَمِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّه مَأْمُونَ الإِلَـ
ـهِ شَفِيعَنَا بِتَشَرُّفٍ وَتَكَرُّمِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّه يَا هَادِي البَرِيَّـ
ـةِ مُصْطَفَى الأَكْوَانِ خَيْرَ مُفَخَّمِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّه يَا خَيْرَ الوَرَى
خَيْرَ الأَنَامِ مُؤَخَّرٍ وَمُقَدَّمِ

صلَّى وَسَلَّمَ دَائِماً عَدَدَ الحَصَى
وَالقَطْرِ والرَّمْلِ وَعَدَّ الأَنْجُمِ
وَلِتَغْفِرِ اللَّهُمَّ كُلَّ جَرَائِمِي
وَلِتَرْزُقَنْ بَرْهَامَ حُسْنَ المَخْتَمِ

تمت الحمد لله

الْحَمْدُ للَّه هَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي تَقَارِيظِ الْكِتَابِ قَالَ الْعَالِمُ العَلاَّمَةُ والدَّرَّاكَةُ الْفَهَّامَةُ الْقَاضِي الْمَشْهُودُ لَهُ بِالتَّبْرِيزِ والتَّحْقِيقِ وَكَمَالِ التَّحْرِيرِ والتَّدْقِيقِ السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحمَنِ ابْنُ السَّالِكِ بنِ بَابَ الْعَلَوِيُّ التَجَانِيُّ أَطَالَ اللَّه حَيَاتَهُ وَقَوَّى بَدَنَهُ.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّه تَعَالَى عَلَى نَبِيهِ الْكَرِيمِ

الحَمْدُ للَّه الهَادِي إِلَى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمَ والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَى النَّبِيّ الهَادِي وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ.

(أَمَّا بَعْدُ) فَإِنِّي لَمَّا طَالَعْتُ تَأْلِيفَ شَيْخِ الأَوَانِ وَفَارِسِ الْمَيْدَانِ المُرَبِّي فِي مَقَامِ الإِيْمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالإِحْسَانِ الشَّيْخِ الْحَاجِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ الشَّيْخِ الحَاجِّ عَبْدِ اللَّه الَّذِي سَمَّاهُ نُجُومَ الهُدَى، وَقَعَ مِنِّي الْمَوْقِعَ فَإِذَا اسْمُهُ كَوَسْمِهِ وَفَرِحْتُ بِوُجُودِ مَنْ يَجْمَعُ مِثْلِهِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الذي صَارَ الْعِلْمُ فِيهِ غَرِيباً وأَهْلُهُ غُرَبَاءَ وَقَدْ قَالَ حَافِظُ مَذْهَبِ مَالِكٍ مُحَمَّدٌ ابْنُ رُشْدٍ القُرْطُبِي فِي حَدِيثِ: «فأَفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»، مَا نَصُّهُ وَقَدْ أَدْرَكْنَا هَذَا الزَّمَانَ وابْنُ رُشْدٍ تُوفِيَ عَامَ عِشْرِينَ مِنَ القَرْنِ السَّادِسِ فَكَيْفَ بِنَا أَهْلَ القَرْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ فَبَارَكَ اللَّه تَعَالَى فِي مؤَلِّفِهِ وأَكْثَرَ مِنْ أَمْثَالِهِ فِي الإِسْلاَمِ وَقَدْ قُلْتُ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيظِ:

نُجُومَ الهُدَى فِيهَا الشِّفَا فَبِهَا هَدَى

إِمَامِ الهُدَى أَهْلِ العَمَا سُبُلَ الهُدَى

طَوَالِعُ فِي بُرْجِ السُّعُودِ أَدِلَّةٌ

لِقِبْلَةِ مِحْرَابِ المَكَارِمِ وَالنَّدَى

شَفَتْ عِلَلاً أَضْنَتْ فَلَمْ تُبْقِ عِلَّةً

وَقَدْ قَصَعَتْ عَنْ ذِي الصَّدَى غُلَلَ الصَّدَى

لَدُنِّيُّ عِلْمٍ أَصْلُهُ الذِّكْرُ واتَّقَوْا

وَنَقْلِيُّ عِلْمٍ فِيهِ مَدَّتْ يَدٌ يَدَا

بَنَاهَا أَبُو إِسْحَاقَ شَمْسُ الْعُلَى وَمَنْ

غَدَا وَهُوَ جَمْعٌ فِي مَعَانِيهِ مُفْرَدَا

عَسَى اللَّهُ يُبْقِيهِ طَوِيلاً مُصَادِفاً

مِنَ اللَّهِ تَيْسِيراً بِنَصْرٍ مُؤَيَّدا

اهـ

وَقَالَ سُلاَلَةُ الشُّيُوخِ وَمَعَادِنُ العُلُومِ وَالرُّسُوخِ الْعَارِفُ الرَّبَّانِيُّ وَالوَارِثُ الصَّمْدَانِيُّ وَالْوَلِيُّ المحَقِّقُ وَالشَّاعِرُ المُفْلِقُ المُؤْذَنُ لَهُ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ حَضْرَةِ الْعَالِمِ القَدِيرِ فِي المَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ السَّيِّدُ منَّ أَبَّ المَعْرُوفُ بالشَّيْخَانِ ابْنِ الخَلِيفَةِ مُحَمَّدِ ابْنِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْحَافِظِ الْعَلَوِيِّ التِّجَانِي:

بِنُجُومِ الهُدَى اهْتَدَتْ لِلْمُرُومِ

مِنْ سَبِيلِ الهُدَى بُغَاةُ العُلُومِ

وَلَكُمْ بِالنُّجُومِ كَانَ اهْتَدَى مَنْ
ضَلَّ فِي جُنْحِ كُلِّ لَيْلٍ بَهِيمِ
فَبِهَا لِلْمَرحُومِ يَبْدُو اهْتِدَاءٌ
وَضَلَالٌ لِلْجَاهِلِ الْمَحْرُومِ
اطَّلَعَ الشَّيْخُ بَيْنَهَا شَمْسُ أَصْلٍ
حَجَبَتْهَا غُيُومُ ضَعْفِ الْفُهُومِ
لَكِنِ الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ لَمْ يَضِرهَا
مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ رُكَامِ الْغُيُومِ
فَجَزَى اللَّه مَنْ أَبَانَ سَنَاهَا
لِبُغَاةِ الدَّلِيلِ فَوْقَ الْمَرُومِ

اهـ

وَقَالَ فَتَى الفِتْيَان وَمَجْلِي حَلْبَةِ الرِّهَانْ زِينَةُ الوِلْدَانِ وَبَهْجَةُ المَحَافِلِ والأَقْرَانِ مُحَمَّدٌ قَالَ بْنُ عَبْدِ اللَّه ابْن بَابَ الْعَلَوِيُّ التِّجَانِيُّ:

هَذِي نُجُومُ الهُدَى لاَحَتْ مَطَالِعُهَا
فَالْيُمْنُ قَائِدُهَا وَالسَّعْدُ طَالِعُهَا
لاَحَتْ بِبُرْجِ سَمَاءِ الحَقِّ وَارْتَفَعَتْ
فِيهَا وَرَافِعُ رُكْنِ الدِّينِ رَافِعُهَا
جَاءَتْ بِجَوْهَرِ عِلْمٍ رَائِقٍ حَسَنٍ
رَاقٍ يُحَلِّي بِهِ الأَسْمَاعَ سَامِعُهَا

وَجَـدَّدَتْ أَرْبَـعَ الإِسْـلاَمِ فَـاتَّـضَـحَـتْ
أَعْـلاَمُـهَـا بَـعْـدَ مَـا أَفْـوَتْ مَـرَابِـعُـهَـا
تُـبْـدِي مِـنَ الـعِـلْـمِ أَبْـهَـاهُ وَأَنْـفَـعَـهُ
خَـيْـرُ الْـعُـلُـومِ لَـدَى الـتَّـعْـلِـيـمِ نَـافِـعُـهَـا
لاَ غَـرْوَ أَنْ صَـدَعَـتْ بـالـحَـقِّ حَـيْـثُ جَـرَتْ
مِـنْ مَـنْـبَـعِ الـمَـجْـدِ وَالـعُـلْـيَـا مَـنَـابِـعُـهَـا
غَـوْثٌ غِـيَـاثٌ بَـهِـيٌّ عَـالِـمٌ وَرِعٌ
عَـلاَّمَـةٌ بَـاهِـرُ الأَنْـوَارِ سَـاطِـعُـهَـا
إِمَـامُ كُـلِّ إِمَـامٍ يَـقْـتَـفِـي طُـرُقـاً
مِـنَ الـشَّـرِيـعَـةِ لا تَـخْـفَـى شَـرَائِـعُـهَـا

وَقَالَ الْعَلاَّمَةُ الشَّهِيرُ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ الشَّاعِرُ الْمُفْلِقُ وَالْمُحِقُّ الْمُحَقِّقُ مُحَمَّدُ عَال بْنُ فَتَى مُقَرِّظاً رِسَالَة نُجُوم الهُدَى:

نُـجـومُ الـهُـدَى فِـي الأُفُـقِ طَـالِـعَـةٌ تَـتْـرا
سَـتَـمْـحُـو الْـعَـمَـى وَالـزَّيْـغَ وَالـفِـسْـقَ وَالـكُـفْـرَا
نُـجُـومٌ بَـدَتْ فِـي بُـرْجِ سَـعْـدٍ سَـعِـيـدَةٍ
إِذَا طَـلَـعَـتْ زَالَ الـظَّـلاَمُ بِـهَـا قَـهْـرا
تَـصُـولُ بِـآيَـاتِ الْـكِـتَـابِ مُـنِـيـرَةً
فَـكَـانَـت لِـكَـسْـرِ الـدِّيـنِ جَـابِـرَةً جَـبْـرا
وَفِـيـهَـا أَحَـادِيـثٌ صِـحَـاحٌ أَقَـامَـهَـا
دَلِـيـلاً عَـلَـى فَـضْـلِ الـنَّـبِـيِّ وَلاَ فَـخْـرا

نَحَتْ عَنْ جَمِيعِ الْمُنْكَرَاتِ مُرِيدَهَا
وَلَمْ تَأْلُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ أَمْرِهَا أَمْرَا
تَرُدُّ أَخَا زَيْغٍ طَغَى فِي اعْتِقَادِهِ
وَفِيهِنَّ ذِكْرَىٰ لِلَّذِي تَنْفَعُ الذِّكْرَا
عَلَيْكَ بِهَا إِنْ كُنْتَ مُبْتَغِياً هُدَى
فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ النَّبِيِّ وَلا إِطْرَا
أَتَانَا أَبُو إِسْحَاقَ قَائِدُ جَيْشِهَا
بِصَاعِقَةٍ تَسْتَغْرِقُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَا
فَمُنْكِرُ فَضْلِ الْمُصْطَفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
كَمَنْ فِي يَدَيْهِ يَجْمَعُ الْمَاءَ وَالْجَمْرَا
وَمُثْبِتُهُ أَيْضاً مُحَصِّلُ حَاصِلٍ
كَمَنْ بِدَلِيلٍ يُثْبِتُ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَا
عَلَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي صَلاَةٌ وَرَحْمَةٌ
مِنَ اللَّهِ مَا دَامَتْ نُجُومُ الْهُدَى تَتْرَا

❋ ❋ ❋

نَحَتْ عَنْ جَمِيعِ الْمُنْكَرَاتِ مُرِيدَهَا
وَلَمْ تَسْأَلْ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ أَمْرِهَا أَمْرَا
تَرُدُّ أَخَا زَيْغٍ طَغَى فِي اعْتِقَادِهِ
وَفِيهِنَّ ذِكْرَى لِلَّذِي تَنْفَعُ الذِّكْرَا
عَلَيْكَ بِهَا إِنْ كُنْتَ مُبْتَغِياً هُدَى
فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ النَّبِيِّ وَلا إِطْرَا
أَتَانَا أَبُو إِسْحَاقَ قَائِدُ جَيْشِهَا
بِصَاعِقَةٍ تَسْتَغْرِقُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَا
فَمُنْكِرُ فَضْلِ الْمُصْطَفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
كَمَنْ فِي يَدَيْهِ يَجْمَعُ الْمَاءَ وَالْجَمْرَا
وَمُثْبِتُهُ أَيْضاً مُحَصِّلُ خَاصِلٍ
كَمَنْ بِدَلِيلٍ يُثْبِتُ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَا
عَلَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي صَلاَةٌ وَرَحْمَةٌ
مِنَ اللَّهِ مَا دَامَتْ نُجُومُ الْهُدَى تَتْرَا

❋ ❋ ❋

SCANNED BY SHAMDI ISLAMIC SOCIETY
2348058616631
ONLINETARGET11@GMAIL.COM
THIS BOOK CAN BE DOWNLOADED
FROM WWW.FAIDHA.NET